# صور ومشاهد من الحضارة الاسلامية

نصوص منتخبة من أمهات الكتب العربية

الجزء الثاني

تأليف
عبد القادر الخلادي

نشر
دار الكتب العربية
الرباط

نـشـر وتـوزيـع :
دار الكتب العربية
الـــربـــاط
*

# صور ومشاهد
# من الحضارة الاسلامية

( منتخبات ادبية )



تأليف

## عبد القادر الخلادي

مفتش أول بوزارة التربية الوطنية

الطبعة الاولى

1963

دار كريماديس للطباعة - تطوان - المغرب

الجزء الثاني

# فهرست المواضيع

الباب الخامس

# الحياة اللاهية

الفصل الاول

## الملاهي الخاصة والعامة

الفصل الثاني

# المغنون ومجالس الطرب

الفصل الثالث

# الحفلات العائلية



الفصل الرابع

# الحفلات الدينية

الباب السادس

# الحياة الاقتصادية

الفصل الاول

## الاسفار



الفصل الثاني

## التجارة

الفصل الثالث

# الصناعة واليد العاملة

الفصل الرابع

# الفلاحة والمعادن



الفصل الخامس

# الجبايات

الفصل السادس

# المآكل والشارب

الفصـل السابـع

# الـمـلابـس



حسن الختـام

# الـوصـايـا

تسترقه الصافنات الجياد وملاعب الفرسان ، ورابع تسحره كؤوس الشراب والاكواب المتلالئة الحباب ، وخامس تنشطه مغالبة الاقران في الشطرنج والنرد ، وكل ما يدعو الى الرهان .

هذا ولا يخفي ان تمازج الاجناس والثقافات ، وغزارة الخيرات ، وتعدد الجواري والغلمان كان مما حمل المسلمين ابان ازدهار حضارتهم ، على التفنن والتغالي في الملاهي والملذات فيما كانوا يقيمونه من أعراس واعياد ومواسم ومهرجانات ؛ فانهم رفلوا في فاخر الثياب، وبالغوا في اعداد الاسمطة والموائد، وربوا الكباش والديوك للصراع، والكلاب للهراش ، والخيل للسباق ، والبزاة للصيد ، ونظموا اندية للمداعبة فيها أدب ولغو ومجون . ومجالس للشراب فيها غناء وراح ورياحين . وكان البطالون المترفون يتقاطرون على اصحاب الحانات وعلى المقينين حيث تبزل الدنان وترقص القيان .

ولكن ـ ويالاسف ـ قد أدى هذا الاسراف في التهافت على أسباب الدعة والمتعة ، الى استنزاف موارد البلاد ، وخمود العزائم ، فكانت السقطة بعيدة المهوى « ولا حول ولا قوة الا بالله » .

## المراجع


1 ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع عشر لماز ( فصل 23 )

2 ـ قصص العرب ج 2 ( باب 1 ) ـ ج 3 ( باب 1 ) ـ ج 4 ( باب 1 )

3 ـ تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ، ج 5

4 ـ المستطرف ، ج 2

5 ـ العقد الفريد ، ج 4

6 ـ كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني

7 ـ « الحان الحان » تأليف عبد الرحمن صدقي ( دراسة خاصة بأبي نواس وما كان في عصره من الملاهي ) .

# 151 - مسابقة الخيــل

قال هشام بن عبد الملك (1) يوما لقوامه على خيله : كم اكثـر ما ضمت حلبة من الخيل في الجاهلية والاسلام ؟ قالوا : الف فرس وقيل الفان . فأمر ان يؤذن في الناس بحلبة تضم أربعة آلاف فرس ، فقيل له : يا امير المؤمنين يحطم بعضها بعضا ، فلا يتسع لها طـريـق . فقـال نطلقها ونتوكل على الله ، والله هو الصانع . فجعل الغاية خمسين ومائتي غلوة (2) والقصب مائة ، والمقوس (3) ستة أسهم وقاد اليه الناس من كل أوب ، ثم برز هشام الى دهناء الرصافة قبيل الحلبة بأيام ، فأصلح طريقا واسعا لا يضيق بها ، فـأرسلت ، يـوم الحلبـة ، بين يديـه ، وهو ينظر اليها تدور حتى ترجع . وجعل الناس يتراءونها حتى اقبل الزابد (4) كأنه ريح لا يتعلق به شيء ، حتى دخل سابقاً ، وأخذ القصبة ثم جاءت الخيل ، بعد ذلك ، أفذاذا وأفواجـاً ؛ ووثـب الرجـاز يرتجزون ، منهـم المادح للزابد ومنهم المادح لفرسه ومنهم المادح لخيل قومه . فوثب حفص الاموي مولاهم وقام مرتجزا يقول :

ان الجـواد السـابق الامـام خليفة الله الرضي الهمام .. الخ

فأعطاه هشام يومئذ ثلاثة آلاف درهم ، وخلع عليه ثلاث حلل من جيد وشي اليمن ، وحمله على فرس من خيله السوابق ، وانصرف معه ينشده هذا الرجز حتى قعد في مجلسه ، فكان اثيرا عنده .

( معجم الادباء . 10 ص 213 )

---

1) هشام (انظر قطعة 135)
2) الغلوة : مقدار رمية السهم وقيل 300 ذراع إلى 400
3) المقوس : الميدان الذى تجرى فيه الخيل
4) الزابد : اسم فرس لهشام

# 152 - النـــــــرد

## أ) جحظـة وملاعبه

حدث أبو علي بن الاعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة البرمكي (1)، فأكلنا وجلسنا نشرب، وهو يغني اذ دخل رجل. فقدم اليه جحظة زلة (2) كان زلها من طعامه ونحن نأكل. وكان بخيلا على الطعام. وكان الرجل طاويا - طاوي تسع - فأتـى على الزلـة ورفـع الطيفورية فارغة وجحظة يرمقه، ونحن نلمح جحظة ونضحك. فلما فرغ قال له جحظة: تلعب معي بالنرد؟ قال: نعم. فوضعـاه بينهمـا ولعبـا، فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الاعداد ويكره جحظة فأخرج جحظة من الخيش رأسه رافعـا له الى السماء، وقال كأنه يخاطب الله عز وجل: لعمري إني استحق هذا لاني أشبع من أجعته».

(معجم الادباء)

---

1) جحظة البرمكـي . هو أبـو الحسين جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد ــ كان حسن الادب كثير الرواية للاخبار وكان طنبوريا حادقا، مات 324 هـ

2) زلة : اسم لما يؤخذ من الطعام وهـو على المائدة ليدخر أو يؤخذ الى محل آخـر .

## ب ) قامر الرشيد فقمره

حدث اسحاق المواصلي (1) قال : إن أبي لعب يوما مع الرشيد (2) بالنرد، في الخلعة التي كانت على الرشيد والخلعة التي كانت عليه هو . فتقمر (3) للرشيد ، فلما قمره قام ابراهيم فنزع ثيابه ثم قال للرشيد : حكم النرد الوفاء به وقد قمرت ووفيت لك ، فالبس ما كان علي. فقال الرشيد : ويلك ! أنا البس ثيابك ؟ ! فقال أي والله اذا انصفت ، واذا لم تنصف قدرت وامكنك ! قال : ويلك ! او أفتدى منك ؟ قال : نعم. قال: وما الفداء ؟ قال : قل أنت يا امير المؤمنين فانك أولى بالقول . فقال : أعطيك كل ما علي ؟ قال : فمر به يا أمير المؤمنين ، وأنا أستخير الله في ذلك ! فدعا بغير ما عليه فلبسه، ونزع ما كان عليه فدفعه الى ابراهيم .

( الاغاني )

---

1) اسحاق الموصلى : انظر قطعة 119

2) الرشيد تقدمت ترجمته (قطعة 46)

3) تقمر : اظهر الضعف فى اللعب ليغلب

# 153 - الشطرنج

قال قاضي اشبيلية أبوبكر بن العربي المعافري الاشبيلي (1) لما ذكر ركوبه البحر، في رحلته من افريقية ، وقد سبق ، في علم الله ، ان يعظم عليهم البحر . « فخرجنا منه خروج الميت من القبر ، وانتهينا بعد خطب طويل ، الى بيوت بني كعب بن سليم ، ونحن من السغب على عطب ومن العري في اقبح زي (2) . . . فعطف أميرهم علينا ، فأوينا إليهم فآوانا ، وأطعمنا الله على يديه وسقانا ، وأكرم مثوانا ، وكسانا بسبب أمر حقير ضعيف ، وفن من العلم طريف وشرحه : أنا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه (3) فعل السامد اللاه . فدونت اليه في تلك الاطمار (2) ، وسمح لي بيادقته (4) ، اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار ، ووقفت بازائهم أنظر الى تصرفهم من ورائهم ، اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من القرابة في خلس بطالة . . فقلت للبيادقة : الامير أعلم من صاحبه ، فلمحوني شزرا وعظمت في أعينهم بعد ان كنت نزرا ، وتقدم الى الامير من نقل اليه الكلام فاستدعاني ، فدنوت منه وسألني : هل لي بما هم فيه بصر ؟ فقلت : لي فيه بعض النظر ، سيبدولك ويظهر . حرك تلك القطعة ففعل وعارضه صاحبه ، فأمرته ان يحرك أخرى ، وما زالت الحركات بينهما تترى ، حتى هزمه الامير وانقطع التدبير... وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض (5) ما حرك منهم الى جهتي الانتهاض ، واقبلوا يعجبون مني ويسالونني عن نسبي . . . فاخبرتهم وأعلمت الامير ان أبي معي فاستدعاه . . . فخلع علينا خلعة ، وأسبل علينا ادمعه ، وجاء كل خوان بافنان الالوان . . وسرنا حتى انتهينا الى ديار مصر .

ازهار الرياض

1) هو العالم الحافظ الاندلسي المشهور بكتاب قانون التأويل فى تفسير القرآن رحل الى المشرق ولقى الامام الغزالى مات ودفن بفاس سنة 543 هـ

2) كانوا متزيين بجلود زقاق ريت قذف بها البحر ومزقتها الحجارة

3) يلعب الشطرنج

4) أعوانه

5) وقعت بعد ذلك مذاكرة أدبية فى بيت شعر للمتنبى تمثل به أحد اللاعبين

# 154 - ناد للهو والمطالعة

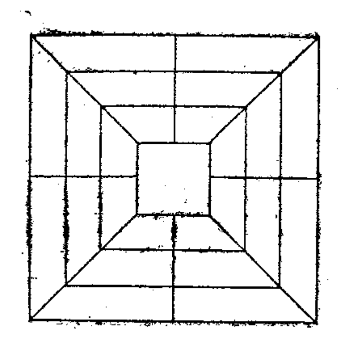
قال عبد الله بن عمرو الجمحي : كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات (2) ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتادا ، فمن جاء علق ثيابة على وتد ثم جر دفترا فقرأه ، او بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم ، قال : فان عبد الحكم يوما لفي المسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحناطين ، باب بني جمح ، عليه ثوبان معصفران مدلوكان ، فأقبل يشق الناس حتى جلس الى عبد الحكم . فجعل من رآه يقول : ماذا صب عليه من هذا ؟! ألم يجد احدا يجلس اليه غيره ؟! ويقول بعضهم : فأي شيء يقوله عبد الحكم ؟ هو أكرم من ان يجابه من يقعد اليه . فتحدث اليه ساعة ثم اهوى فشبك يده في يد عبد الحكم ، وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين . قال عبد الحكم : فقلت في نفسي : ماذا سلط الله علي منك ؟! رآني معك نصف الناس في المسجد ونصفهم في الحناطين ! حتى دخل مع عبد الحكم بيتة ، فعلق رداءه على وتد ، وحل أزراره واجتر الشطرنج وقال : من يلعب ؟ فبينما هو كذلك اذ دخل الابحر المغني فقال له : اي زنديق ما جاء بك الى ههنا ؟ وجعل يشتمه ويمازحه ؛ فقال له عبد الحكم : أتشتم رجلا في منزلي ؟ فقال : أتعرفه ؟ هذا الاحوص (1). فاعتنقه عبد الحكم وحياه ، وقال : اما اذا كنت الاحوص فقد هان علي ما فعلت .

الاغانى ج 4 ص 51

---

1) الاحوس : شاعر من شعراء الحجاز سمج الطبع سهل الكلام. وكان قليل المروءة دنيء الاخلاق والافعال هجاء حبس فى جزيرة دهلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز وأطلقه يزيد بن عبد الملك. مات سنة 179 هـ 796 م.

2) القرقات: مائدة يلعب عليها القرق وهو لعب السدر، يخطون أربعا وعشرين خطا فيصفون فيه حصيات وهذا شكله.



# 155 - لعب الكرة

حدث حمزة الاصفهاني ان ابا نواس (1) خرج يوما مع العباس بن موسى الهادي الى : « عيشاناباذ » فوجد في الميدان زهير بن المسيب والصقر بن مالك الخزاعي يلعبان بالصوالجة فدخل مع القوم فصاروا حزبين فغلبهم، ثم أكل معهم وشرب فلما طرب قال هذه الارجوزة :

| | |
|---|---|
| قد اشهد اللهو بفتيان غرر | من ولد العباس سادات البشر |
| ومن بني قحطان والحي مضر | من كل مالوف كريم المعتصر 2) |
| زين حسن وجهه طيب الخبر | على جياد كتماثيل الصور |
| من كل طرف اعوجي 3) قد ضمر | لم يكوه البيطار من داء الحمر 4) |
| جن على جن وان كانوا بشر | كأنما خيطوا عليها بالابر |
| او سمر الفارس فيها فانسمر | بين رياض مثل موشي الحبر 5) |
| مكللات ببهار وزهر | فانتدبوا في يوم قر وخصر 6) |
| اذ ذر قرن الشمس في غب مطر | صوالجا 7) يصبو اليها من نظر |
| محنية اطرافها فيها زور 8) | قدرها شابرها لما شبر |
| فلم يعب طول ولا شان قصر | وقد تنادوا فتراموا بالاكر 9) |
| مدمجة 10 الاركان مدماة 11 الطرر | شدد صفقي 12) منتها حشو الشعر |
| احكمها صانعها لما فطر | الطف بالاشفاء خرزا اذ دسر 13) |
| فليس للاشفاء بالجلد اثر | يحسبن تفاحا تدلى في شجر |
| حتى اذا ما أعلق القوم الخطر | ووكلوا بالبز 14) مقداما ذكر |
| مجربا يوم الرهان المحتضر | فضله حذق وضرب مشتهر |
| فلم يجر منهم ولا العين فتر | واستقدم القوم رئيس ذو خطر |
| بكرة دحا بها ثم زجر | فانحدرت كالنجم ولى فانكدر |
| رفعا ووضعا أيما ذاك استقر | تدفع بالضرب اذا الضرب استمر |
| تدافع النبل بإزعاج الوتر | فلم نرى فيهم حليما ذا وقر |

اذا أجاد الضرب فدى ونعر — وعطعط15) المرء الذي يرجو الظفر
واكتأبت نفس الذي خاف الغير — وأيقنوا ان قد علاهم وقهر
حتى يفوز بالرهان من قمر — يساء هذاك وهذاك يسر
كذلك الدهر — وتصريف القدر

كتاب الموازنة لزكي مبارك

---

1) أبو نواس : هو الشاعر المشهور بخمرياته ومجونه وتهتكه، وإلد بالاهواز وتخرج بالبصرة على والبة بن الحباب ـ له شعر غزير المادة فى المدح والهجو والرثاء والطرد والغزل، مات سنة 195 هـ 810 م.
والهادى هو الذى ولى الخلافة بعد أبيه المهدى. توفى سنة 170 هـ 707 م

2) كريم المعتصر : جواد عند السؤال
3) اعوجى : نسبة الى أعوج فرس كان لبنى هلال تنسب اليه الاعوجيات
4) الحمر : داء يعترى الدواب من كثرة أكل الشعير
5) الحبر : من حبر الشيء زينه ـ وأحبرت الارض كثر نباتها.
6) الخصر : من خصر اليوم : صار باردا
7) الصوالج : ج صولجان وهى عصى معكوفة الرأس يلعب بها الكرة ـ وصوالجا نصبت لانها مفعول به لتدبوا ونونت لضرورة الشعر
8) الزور : الميل
9) الاكر : ج أكرة وهى لغة فى الكرة
10) مدمجة : مستحكمة
11) مدماة الطرر : متصلة الاطراف
12) الصفقان : مثنى صفق وهو الجانب
13) الاشفاء ـ بالمد للضرورة ـ مثقب يخرز به الجلد، ودسر : أدخل الاشفى فى الجلد ـ وفطر : شق
14) البز : الغلبة والقهر ـ بزه : غلبه
15) عطعط : صاح

# 156 - خليفة يصيد السمك

قال المتوكل (1) على الله : كان الخليفة الواثق (2) مع الطبيب يوحنا بن ماسويه (3) على دكان (4) في دجلة ، ومعه قصبة فيها شص ، وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك ، فحرم الصيد ، فالتفت الى يوحنا ، وكان على يمينه ، وقال له : قم يامشئوم عن يميني . فقال يوحنا : ياامير المؤمنين لا تتكلم بمحال ؛ يوحنا بن ماسويه الخوزي ، وأمه رسالة الصقلبية المبتاعة بثمانيمائة درهم ، اقبلت به السعادة الى ان صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم ، وحتى غمرته الدنيا ، فنال منها ما لم يبلغه امله ، فمن اعظم المحال ان يكون هذا مشؤما ! ولكن ، إن احب امير المؤمنين ان اخبره بالمشؤوم من هو اخبرته . فقال : من هو ؟ فقال : من ولده اربعة خلفاء ، ثم ساق الله اليه الخلافة ، فترك خلافته وقصورها ، وقعد في دكان ، مقدار عشرين ذراعا في مثلها ، في وسط دجلة ، لا يأمن عصف ريح فتغرقه ، ثم تشبه بأفقر قوم في الدنيا وشرهم ، وهم صيادو السمك . قال المتوكل : فرأيت الكلام قد نجع فيه الا انه امسك لمكاني . ثم قال الواثق : ألا اعجبك من خلة ؟ قال : وما هي ؟ قال : ان الصياد ليطلب الصيد مقدار ساعة فيصيد من السمك ما يساوي دينارا وما اشبه ذلك ، وانا اقعد منذ غدوة الى الليل فلا اصيد ما يساوي درهماً . فقال له يوحنا : امير المؤمنين وضع التعجب في غير موضعه ان الله جعل رزق الصياد من صيد السمك ، فرزقه ياتيه لانه قوته وقوت عياله ، ورزق امير المؤمنين في الخلافة ، فهو في غنى عن ان يرزق بشيء من السمك ؛ فلو كان في الصيد لوفاه مثل ما يوافي الصياد . (اخبار الحكماء)

---

1) المتوكل تقدمت ترجمته قطعة 85 ـ ووقعت هذه الحادثة قبل أن يلي الخلافة

2) الواثق (انظر قطعة 97)

3) يوحنا بن ماسويه (انظر قطعة 138)

4) دكان : هنا زورق صغير

# 157 ـ صيد الوحـوش والطيور

كتب عبد الحميد (1) واصفا الصيـد : « اخبـر اميـر المـؤمنين انـا خرجنا الى الصيد بأعدى الجـوارح (2) واثـقـف الضواري (3) اكـرمها اجناسا واعظمها اجساما .. ومعنا من نفائس الخيل ، المخبورة الفراهة مـن الشهرية (4) الموصوفة بـالنجابة والجري والصلابة .. وقـد امطـرتها السماء مطرا متداركا ، فربت منه الارض وزهر البقل ، وسكن القتام مـن مثار السنابك (4) ، ثم برزت الشمس طالعة ... فتلالات الاشجار ، وضحك النوار وانجلت الابصار .. والخيل تمـرح بنا نشاطا ، وتجـتـذبنـا اعنتها انبساطا ؛ ثم لم تلبث ان علتنا ضبابة تقصر طرف الناظر .. تغشانا تارة وتنكشف اخرى ؛ ونحن بأرض دمثة التراب ، اشبة (5) الاطراف ، مغدقة الفجاج ، مملوءة صيدا من الظباء والثعالب والارانب ، فأدانا المسير الـى غابة ، دونها مألف الصيد ومجتمع الوحـش ، قد جاوزنـاها ونحـن على سبيل الطلب ممعنون ثم عدنا .. واذا نحن برعلة (6) من ظبـاء وخلفة آرام (7) ، يرتعن آنسات ، قد احالتهن الضبابة عن شخصنا ، واذهلهـن انيق الريـاض عن استماع حسنا ؛ فلم نـعـج (8) الا والضواري لائـحـة لهن من بعد الغاية ومنتهى نظر الشاخص. ثم مدت الجوارح اجنحتها ، واجتذبت الضواري مقاودها ، فأمـر بارسـالها على الثـقـة بمحضـرها وسرعة الجوارح على طلبها ... فمرت تحف حفيف الريح عند هبوبها ، تسف الارض سفا ، كاشفة عن آثارها طالبة لخيارها ، حارشة بأظفارها ... فمن صائح بها وناعر ، وهاتف بها وناعق ، يدعو الكلب باسمه ويفديه بأبيه وأمه ... قـد حيرتنـا الكـثرة ، والهجتنـا القدرة ، حتى امتـلأت أيدينا من صنوف الصيد ... ثم ملنا بهداية دليل ، قد أحكمته التجارب ، وخبر اعلام المذانب (10) ، الى غدير افيح . وروضـة خضرة مستـأجمـة بتلاوين الشجر ، مملوءة من انواع الطيـر ، لـم يذعرهن صائـد ، ولا

اقتنصهن قانص، فخفق لها بطبول، وصفر بنفير الحتف، فثار منها ما ملأ الافق كثرتها، وراعت الجوارح خفقات اجنحتها، ثم انبرت البزاة لها صائدة. والصقور كاسرة، والشواهين ضاربة، يرفعن الطلب لها، ويخفضن الظفر بها، حتى سئمنا من الذبح، وامتلأنا من النضيح (11) كأنا كتيبة ظفرت ببغيتها.. لا نملك انفسنا فرحاً.

(اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور)

---

1) عبد الحميد : هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى. بلغ فى فن الانشاء مقاما رفيعا، عرف باخلاصه لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية، وبصداقته لابن المقفع، هلك ضحية الامانة والصدق سنة 132 هـ 750 م.

2) الجوارح : ج جارحة : ذات الصيد من السباع والطير والكلاب

3) الضوارى : ج الضارى : وهنا الحيوانات التى يستعان بها على الصيد ـ من ضرى الكلب بالصيد : تعوده واولع به.

4) السنابك : ج سنبك وهو طرف الحافر، ومثارها اى ما تثيره من الغبار، والشهرية : البراذين.

5) أشبة : ملتفة الشجر

6) رعلة : القطعة المتقدمة

7) خلفة : القطعة التابعة ـ والآرام ج رئم : الظبى الابيض

8) نعوج : من عاج يعوج : مال والتفت ورجع

9) تسف : مرت مسرعة يكاد بطنها يمس الارض

10) المذانب ج مذنب : وهو مسيل الماء اذا لم يكن واسعا

11) النضيح : الغرق يقال : ان الاناء بما فيه ينضح

# 158 - لـهـو غـريـب

كان الوزير جعفر ابن الفضل بن الفرات (1)، المعـروف بابن حنزابة، يهوى النظر الى الحشرات من الافاعي، والحيات، والعقارب، وام اربعة وأربعين، وما يجرى هذا المجـرى. وكان في داره قاعـة لطيفة مرخمة، فيها سلل الحيات، ولها قيم فراش حاو من الحواة (2)، ومعه مستخدمون برسم الخدمـة، ونقل السلـل وحطهـا. وكان كل حاو في مصر وأعمالها، يصيد له ما يقدر عليه من الحيات، ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها، وفي الكبار، وفي الغـريبة المنظـر. وكان الوزير يثيبهم (3) في ذلـك اوفى الثـواب. وكان لـه وقـت يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما في السلل، ويطرحونه في ذلك الرخام، ويحرشون بين الهوام.

فلما كان ذات يوم، انفذ رقعة الى الشيخ الجليل ابن المدبر (4) الكاتب، وكان يسكن في جوار داره، يقول له فيهـا: (... نشعـر الشيخ الجليل - ادام الله سلامته - انه لما كان البارحة، وعرض علينا الحواة الحشرات انساب الى داره منها الحية البتـراء، وذات القرنين الكبرى، والعقربان الكبير وابوصوفة؛ وما حصلوا لنا الا بعد عنـاء ومشقة، وبجملة بذلناها للحواة، ونحن نأمر الشيخ، وفقه الله تعـالى، بالتوقيع، الى حاشيته وصبيته، بصون ما وجد منها، الى ان ننفذ الحواة لاخذها..» فلما وقف ابن المدبر على الرقعة، قلبها وكتب في ذيلها: (اتاني امر سيدنا الوزير - ادام الله نعمته وحرس مدته - بما اشار اليه في امر الحشرات، والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو او واحد من اولاده في الدار والسلام» (معجم الادباء - ج 7 ص 171)

1) جعفر بـن الفضل: هو ابـن الحسن بن الفرات كان وزيرا بمصر لانورجور بن ابى بكر الاخشيد ثم لاخيه ثم لكافور مات فى سنة 391 هـ. وكان كثير الحديث جم السماع مكرما لاهل العلم مطعمـا لاهل الحديث

2) الحواة م الحاوى: وهو الذى يشتغل بصيد الافاعى وغيرها

3) يثيبهم: يكرمهم ويجيزهم

3) ابن المدبر: ربما هو ابن أو حفيد أحمد بن المدبر الذى كان متوليا خراج مصر فى عهد أحمد بن طولون.

# 159 ـ ليلـة الغطـاس بمصر

قال المسعودي (1) : لهذه الليلة بمصر شأن عظيم ، لا ينام النـاس فيها ، وهي ليلة ستة تمضي من كانون الثـاني . ولقد حضرتها سنـة ثلاثين وثلاثمـائة ، والاخشيد (2) ، محمد بن طغـج في داره المعروفـة بالمختارة ، في الجزيرة الراكبة للنيل ، والنيل ، يطيف بها ، وقد امـر فأسرج من جانب الجزيرة ، وجانب الفسطاط ، الـف مشعـل ، غير مـا اشرج اهل مصر من المشاعل والشمع. وقد حضر النيل في تلك الليلة، مئو آلاف من الناس المسلميـن والنصارى ، منهم في الزوارق ، ومنهم في الدور الدانية من النيـل ، ومنهم على الشطـوط ، لا يتنـاكـرون الحضور ، ويحملون كل مـا يمكنهم اظهـاره مـن المآكل والمشارب والملابس، وآلات الذهب والفضة والجواهر، والملاهي والعزف والقصف، وهي احسن ليلة تكون بمصر، واشملها سرورا، ولا تغلق فيها الدروب؛ ويغطس اكثرهم في النيل ، ويزعمون ان ذلك أمـان من المـرض ومبرىء للـداء .

( مروج الذهب )

---

1) المسعودى : انظر ترجمته فى آخر الكتاب

2) الاخشيد : بنو الاخشيد دولـة مصريـة ومؤسسها محمد بن طغج والاخشيد من ألقاب الامراء عند قدماء الفرس منحه الخليفة الراضى إلى محمد سنة 326 (937 م) مات سنة 334 هـ 946 م وقد خلفه اثنان من أبنائه الا أن كافور هو الذى صار بعده صاحب الامر والنهى .

# 160 ـ نزهة ختمت بمأساة

خرج الوزير ابوبكر بن عمار(1)، والوزير ابو الوليد بن زيدون (2)، ومعهما الوزير ابن خلدون(3) من اشبيلية الى منظرة لبني عباد (4)، بموضع يقال له القنت، تحف به مروج مشرقة الانوار، متنسمة الانجاد والاغوار (5) متبسمة عن ثغور النوار، في زمان ربيع سقت الارض السحب فيه بوسميها ووليها (6) وجلتها ( 7 ) فى زاهر ملبسها وباهر حليها، وأرداف الربى قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها، واجياد الجداول قد نظم النوار قلائده حول لباتها (8)، ومجامر الزهر تعطر أردية النسائم عند هباتها. وهناك من البهار ما يزري على مداهن النضار (9)، ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان. وقد نووا الانفراد للهو والطرب والتنزه في روضي النبات والادب، وبعثوا صاحبا لهم يسمى خليفة، هو قوام لذتهم، ونظام مسراتهم، ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه فى لجين (10) زجاجه... وجلسوا لانتظاره. فلما بصروا به مقبلا، بادروا الى لقائه، واتفق ان فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه، ووطىء عليه فهشم اعظمه، واجرى دمه، وكسر قمصان (11) النبيذ. الذي كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه. فقال ابن زيدون ( الوافر ) :

أنلهو والحتوف بنا مطيفه ونأمن والمنون لنا مخيفه

فقال ابن خلدون :

وفي يوم، وما ادراك يوم مضى قمصالنا ومضى خليفه

فقال ابن عمار :

همـــا فخـــارتـــا راح وروح     تكسرتـا فأشقـاف وجـيـفـه

( نفخ الطيب ج 2 ص 164 )

---

1) ابــن عمار : هــو ذو الوزارتين أبو بكر بــن عمار المهدى ـ نبغ في الشعر فاشتهر أمره ـ استخصه المعتمد بن عباد لنفسه يسامره وينادمه، الا أنه قتله (477 هـ) لما رفع ابن عمار علم العصيان عليه، وجحد حقه.

2) ابن زيدون : ولد بقرطبة وتخرج فى فنون الادب ورزق فى النظم والنثر قريحة عجيبة وملكة مستحكة ـ اتصل بابن عباد فحظى عنده، وكان عنده فى صورة وزير حسن التدبير تام الفضل، متحببا الى الناس بلين جانبه وعذب كــلامه، واتصل بأديبــة الاندلس ولادة بنت المستكفى وكانت حسنــة الشعر مؤنسة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، فتواثرت بينهما الرسائل والقصائد، وقد جرت لهما وقائع عديدة. مات سنة 463 هـ 1070 م.

3) ابن خلدون : من أجداد فيلسوف المؤرخين عبد الرحمن ابن خلدون

4) بنو عباد : (انظر قطعة 129)

5) الانجاد والاغوار ـ الاراضى المرتفعة والمنخفضة

6) الوسمى : أول المطر والولى : ما نزل بعده

7) جلتها : اظهرتها

8) اللبة : موضع القلادة من الصدر

9) النضار : الذهب والفضة وقد غلب على الذهب

10) اللجين : الفضة

11) القمصال : الوعاء الذى يجعل فيه الخمر

# 161 ـ حلقــة طريــفــة

كان أبو نـزار النحـوي، الملقب بملـك النحـاة، بالشـام (1) في رعاية نور الدين محمود (2) بن زنكي. وكان حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين، ويمسـي وهو منهـا صفر اليدين. وهو مولـع باستعمال الحلاوات السكرية واهدائها الى جيرانـه واخوانـه. ومن طريف ما يحكى عنه ان نور الدين محمودا خلع عليه خلعـة سنيـة. فنزل ليمضي الى منزله، فرأي حلقة عظيمة، فمال اليها لينظر ما هي. فوجد رجلا قد علم تيسا له استخراج الخبايا، وتعريفه ما يقول له من غير اشارة. فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر، ملـك في زي سوقـة، أعلـم الناس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه. فشق ذلك التيـس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة. فلم يتمالك ملك النحاة ان خلع الخلعة ووهبها لصاحب التيس. فبلغ ذلك نور الدين فعـاتبه وقال: أأستخففت بخلعتنـا حتى وهبتهـا من طرقي؟ فقال: يا مولانـا عذري في ذلك واضح، لان في هذه المدينـة، زيـادة على مائـة الف تيس (3) وما فيهم من عرف قـدري الا هذا التيس فجازيته على ذلك. فضحك منه نور الدين وسكت.

( معجم الادباء )

---

1) ملك النحاة ـ ولد ببغـداد سنة 489 هـ قـرأ العلم، وسمع الحديث وتفقه، ودرس ثم سافر ودخل الى الشام وبها مات سنة 568 هـ

2) نور الدين محمود: كان صاحب الامر فى الشام زمان زحفة الفرنج الثالثة، وله معهم وقائع كثيرة، اتسع ملكه وخطب له فى الحرمين وفى اليمن ومصر. وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله. توفى سنة 559 هـ.

3) يقصد هنا بالتيس بنى آدم

الباب الخامس

الفصل الثاني

# المغنون ومجالس الطرب

قال الابشيهي مؤلف كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » في باب الغناء: « ان هذه الصناعة هي مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومحال الهوى وسلاة الكئيب، وانس الوحيد وزاد الراكب... وقد يتوصل بالالحان الى خيرى الدنيا والآخرة لانها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف، وصلة الرحم، والذب عن الاعراض، والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت... »

الباب الثامن والستون

في الاصوات والالحان وذكر الغناء

# 162 - زهد الخليفة المهتدى بالله

كان المهتدي (1) من صالحي بني العباس.. فانه قلل فى اللباس، والفرش، والمطعم، والمشرب. وأمر باخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن، فكسرت وضربت دنانير ودراهم. وعمد الى الصور التي كانت في المجالس فمحيت، وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين أيدي الخلفاء، والديوك، وقتل السباع المحبوسة، ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة بإباحته. وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم؛ فأزال ذلك وجعل لمائدته، وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم. وكان يواصل (2)، وقيل انه لما قتل استخرج رحله من الموضع الذي كان يأوى اليه فأصيب له سفط (3) مقفل. فتوهموا ان فيه مالا او جواهر. فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل، وقيل جبة شعر. فسألوا من كان يخدمه فقال: كان اذا جن الليل لبسها وغل نفسه، وكان يركع ويسجد الى ان يدركه الصباح، وكان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الاخرة ثم يقوم.

(مروج الذهب)

---

1) المهتدى : كان من صالحى بنى العباس يجلس للمظالم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا أن الدولة كانت وصلت الى الدرجة التى لا يصلحها فيها مثل المهدى. ولى سنة 255 هـ 869 م. وخلع وقتل سنة 256 هـ. فكانت مدته أحد عشر شهرا وأياما

2) يواصل : هنا يكثر من الصلاة حتى يواصل بين الليل والنهار

3) سفط ج اسفاط وعاء كصندوق أو غيره ـ وهو مما يعبأ فيه الطيب وأشباهه من أدوات النساء .

## 163 - شتان ما بين مغن ومغنية

قال ثمامة بن أشرس (1) : كنت عند المامون (2) يوما ، اذ جاءه الحاجب يستأذن لعمير المأموني فكرهت ذلك ، ورأى الكراهة في وجهي، فقال: يا ثمامة ما لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين اذا غنانا عمير (3) ذكر مواطن الابل ، وكثبان الرمال ؛ واذا غنتنا فلانة انبسط أملي ، وقوي جذلي ، وانشرح صدري ، وذكرت الجنان . كم يا أمير المؤمنين بين ان تغنيك جارية غادة كأنها غصن بان ، بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة، او خرطت من درة، بشعر عكاشة العمى (4) (كامل)

من كف جارية كأن بنانها ... من فضة قد طرزت عنابا
وكأن يمناها اذا ضربت بها ... تلقى على يدها الشمال حسابا

وبين ان يغنيك رجل ، ملتف اللحية، غليظ الاصابع، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير : ( طويل )

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

وكم بين من يحضرك فتشتهي النظر اليه ، وبين من لا يقف طرفك عليه ! فتبسم المأمون وقال : ان الفرق لواضح وان المنهج لفسيح . يا غلام لا تأذن له! واحضر قينة (5): فظللنا في أمتع يوم .

( ذيل زهر الآداب )

---

1) ثمامة بن أشرس : البصرى الماجن له نوادر كثيرة توفى سنة 213 هـ 829 م .

2) المامون : انظر ترجمته (قطعة 14)

3) عكاشة بن عبد الصمد العمى، منسوب إلى بنى العم. نزلوا ببنى تميم بالبصرة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأسلموا وغزوا فقال الناس : «أنتم وإن لم تكونوا من العرب إخواننا وأنتم الانصار وبنو العم» فلقبوا بذلك .

4) ورقاء بن زهير : الغطفانى سيد بنى عبس، يعد من الشعراء الامراء عاش فى العصر الجاهلى.

5) قينة : الجارية المغنية

# 164 ـ أعتقها حبها للغناء !

حدث اسحاق الموصلي (1) قال: قال لي ابراهيم بن المهدي (2) حججت مع الرشيد (3) فلما صرنا بالمدينة ، خرجت أدور فى عرصاتها ، فانتهيت الى بئر وقد عطشت ، وجارية تسقي منها . فقلت : ياجارية امتحي (4) لي دلواً . فقالت : أنا والله عنك في شغل بضريبة (5) لموالي علي . فنقرت بوسطى على سرجي وغنيت : ( خفيف )

رام قلبي السلو عن أسماء وتعزى وما به من عزاء
سخنة في الشتاء باردة الصيف سراج في الليلة الظلماء
كفناني ان مت في درع أروى وامتحالي من بئر عروة مائي

فرفعت الجارية رأسها الي ، فقالت : أتعرف بئر عروة ؟ قلت : لا. قالت : هذه والله بئر عروة ، ثم سقتني حتى رويت وقالت : ان رأيت ان تعيده فعلت . فأعدته ، فطربت وقالت : والله لاحملن قربة الى رحلك . فقلت : افعلي . ففعلت وجاءت معي تحملها . فلما رأت الجيش والخدم فزعت ، فقلت لها : لا بأس عليك ؛ وكسوتها ووهبت لها دنانير وحبستها عندي ، ثم صرت الى الرشيد ، فحدثته حديثها ، فأمر بابتياعها وعتقها فما برحت حتى اشتريت وأعتقت وأخذت لها منه صلة وافترقنا.

( الاغاني )

---

1 ) اسحاق الموصلى (انظر قطعة 119)

2 ) ابراهيم بن المهدى : هو أخو هارون الرشيد ـ قام على ابن أخيه المامون ولما ظفر به المامون عفا عنه. وقد اشتهر ابراهيم بالغناء الجيد. وكذلك كانت أخته عُلية. مات سنة 224 هـ 839 م.

3 ) الرشيد (انظر قطعة 46)

4 ) امتحا : متح الماء : نزعه والدلو أوبها : استخرجها

5 ) ضريبة : كثيرا ما كان يتفق المماليك مع مواليهم ليدفعوا لهم ضريبة يومية أو اسبوعية ويسمح لهم بالعمل خارج المنزل أو بالاحتراف بحرفة

6 ) درع المرأة : قميصها أو ثوب تلبسه فى بيتها وأروى : اسم امرأة والشعر للاحوص

# 165 - حتى الوحوش تطرب

حدث منصور بن المهدي (1) قال: غدوت الى أمير المؤمنين الامين (2)، أنا وأخي ابراهيم فأعلمنا انه مشرف على بستان الوحش... فدخلنا، وكان طريقنا على حجرة يصنع فيها الملاهي. فقال لي أخي: اذهب فاختر منها عوداً ترضاه، وأصلحه غاية الاصلاح، حتى لا تحتاج الى تغييره البتة عند الضرب (3). ففعلت وجعلته في كمي، ودخلنا على الامين. فلما بصرنا به من بعيد قال: اخرج عودك، فاخرجته، واندفع يغني (متقارب)

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها...

فاستوى الامين جالسا. وطرب طربا شديداً وقال: أحسنت والله يا عم، وأحييت لي طرباً... قال منصور: وغنى ابراهيم يومئذ على أشد طبقة يتناهى اليها في العود، وما سمعت مثل غنائه يومئذ قط؛ ولقد رأيت منه شيئا عجيبا لو حدثت به ما صدقت: كان اذا ابتدأ يغني أصغت الوحوش اليه، ومدت أعناقها، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد ان تضع رؤوسها على الدكان الذي كنا عليه. فاذا سكت نفرت وبعدت منا حتى تنتهي الى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا. وجعل الامين يعجبنا من ذلك وانصرفنا وقد أعطينا من الجوائز ما لم نعط مثله قط.

(الاغاني)

---

1) منصور بن المهدى هو أخو ابراهيم الذى تقدمت ترجمته فى القطعة السابقة.

2) الامين (انظر قطعة 122)

3) كان لا يسمح للمغنين أن يصلحوا آلاتهم بحضرة الخلفاء والملوك.

# 166 ـ ضرب من التمثيل

قال أبو عبد الله : جلست جميلة (1) يوما ، ولبست برنسا طويلا ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك . وكان في القوم ابن سريج (2) ، وكان قبيح الصلع ، قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسه . وأحبت جميلة ان تظهر صلعته . فلما بلغ البرنس الى ابن سريج قال : دبرت علي ورب الكعبة ! وكشف صلعته ، ووضع القلنسية على رأسه ، وضحك القوم من قبح صلعته .

ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود ، وعلى رأسها البرنس الطويل ، وعلى عاتقها بردة يمانية ، وعلى القوم امثالها . وقام ابن سريج يرقص ، ومعبد (3) ، والغريض (4) ، وابن عائشة (5) ، ومالك (6) ، وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها . فغنت وغنى القوم على غنائها ( كامل )

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق رقع شيب مغرب
والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعد تقرب . . الخ

ثم دعت بثياب مصبغة ، ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج ، فوضعتها على رأسها ، ودعت للقوم بمثل ذلك ، فلبسوا ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها ، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد ( كامل ) .

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب(7) البطون رواجح الاكفال..الخ

ثم نعرت ونعر القوم طربا، ثم جلست وجلسوا، وخلعوا ثيابهم، ورجعوا الى زيهم، وأذنت لمن كان ببابها فدخلوا، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجواري.

(الاغاني)

---

1) جميلة : مولاة بنى سليم كانت أصلا من أصول الغناء وعنها أخذ معبد وابن عائشة وغيرهما، ماتت سنة 125 هـ تقريبا.

2) ابن سريج : هو عبيد بن سريج كان من أحسن الناس غناء وأول من ضرب بالعود على الغناء العربى بمكة ـ مات فى خلافة هشام بن عبد الملك

3) معبد : معبد بن وهب امام أهل المدينة فى الغناء مات بدمشق فى أيام الوليد بن يزيد.

4) الغريض : اسمه عبد الملك والغريض لقبه أخذ الغناء عن بن سريج وبرع فيه وفاقه.

5) محمد بن عائشة من المقدمين فى النغاء ووضع الالحان فى العصر الاموى، مات سنة 100 هـ.

6) مالك بن أبى السمح أخذ الغناء عن معبد وجميلة مات فى خلافة أبى جعفر المنصور.

7) قب ج أقب م قباء : دقيق الخصر ضامر البطن ورواجح : ثقيلة

# 167 - طرب البحر فاعبرى ياسفينة !

قال حنين (1) الحيري : « خرجت الى حمص ألتمس الكسب به، وأرتاد (2) من استفيد منه شيئا . فسألت عن الفتيان (3) بها وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا . فجئت الى أحدها فدخلته ، فاذا فيه جماعة منهم . فأنست وانبسطت واخبرتم اني غريب ثم خرجوا وخرجت معهم . فذهبوا بي الى منزل احدهم . فلما قعدنا اتينا بطعام فأكلنا ، واتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم فى مغن يغنيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً . فأتيت به فابتدأت في هنيات (4) معبد (5) فكأنما غنيت للحيطان ، لا فكهوا لغنائي ولا سروا به . فقلت : ثقل عليهم غناء معبد (5) لكثرة عمله وشدته ، وصعوبة مذهبه . فأخذت في غناء الغريض (6) فاذا هو عندهم كلا شيء . وغنيت خفائف ابن سريج والاغاني التي لي ، واجتهدت ان يفهموا . فلم يتحرك من القوم احد ، وجعلوا يقولون : ليت أبا منبه قد جاءنا . فقلت في نفسي : ارى انى سأفتضح اليوم بأبي منبه فضيحة لم يفتضح احد قط مثلها . فبينما نحن كذلك اذ جاء ابو منبه ، واذا هو شيخ عليه خفان احمران كأنه جمال . فوثبوا جميعا اليه ، وسلموا عليه ، وقالوا : يا أبا منبه أبطأت علينا ، وقدموا له الطعام ، وسقوه اقداحا ، وخنست (7) أنا حتى صرت كلا شيء ، خوفا منه . فأخذ العود ثم اندفع يغني :

طرب البحر فاعبري ياسفينة　　　لا تشقي على رجال المدينة

فاقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون ؛ ثم أخذ في نحو هذا من الغناء . فقلت في نفسي: انتم ها هنا : لئن اصبحت سالما لا أمسيت في هذه البلدة ! . فلما اصبحت شددت رحلي ، واحتقبت ركوة (8) من شراب ورحلت متوجها الى الحيرة . . .

( الاغاني )

1 ) حنين : (انظر قطعة 59)
2 ) ارتاد : أبحث ، أطلب
3 ) الفتيان : طائفة يدينون بالفتوة وخصال الرجولة وهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس وهم كالاخية الذين وصفهم ابن بطوطة فى رحلته
4 ) هنيات : أراجيز
5 ) معبد : (انظر قطعة 166)
6 ) الغريض : (انظر قطعة 166)
7 ) خنس : تأخر الى جهة الجدار واختفى
8 ) الركوة : القربة الصغيرة واحتقبها : حملها خلفه

# 168 - بخيل في مجلس آنس

كانت بصبص (1)، جارية ابن نفيس، حلوة الوجه حسنة الغناء. كان مولاها صاحب قيان (2) يزوره الاشراف وفتيان قريش، ويسمعون الى فتياته (3)، وذلك في عهد الخليفة العباسي المهدي (4). وقد اجتمع عنده أشراف المدينة يوما، وتذاكروا امر مزيد، وهو صاحب نوادر في البخل. فزعمت بصبص ان بوسعها ان تأخذ منه درهما. فوعدها صاحبها بان يحررها، إن لم يشتر لها مخنقة بمائة الف دينار، وثوب وشي، وان يجعل لها مجلسا بالعقيق وينحر به بدنة (5) لم تقتب ولم تركب(6)، فيما اذا توصلت الى الحصول على درهم مزيد. فطلبت إحضاره، وان يكف عنها الغيرة مهما بدا منها ومنه. وجيء به عند العصر... والمجلس حافل، فأكلوا وشربوا، وأقبلت الجارية عليه، فقالت: أبا اسحاق كأنك تشتهي ان اغنيك؛ فقال: زوجته طالق ان لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ! فغنته، ثم مكثت قليلا، وقالت: أبا اسحاق كأن نفسك تشتهي ان تقوم من مجلسك، فتجلس الى جانبي، وتداعبني واغنيك. فقال: امرأته طالق أن لم تكوني تعلمين ما في الارحام وما تكسب الانفس غدا وبأي ارض تموت!! فانتقل الى قربها فغنته ثم قالت: برح الخفاء أعلم انك تشتهي ان تقبلني وأغنيك هزجاً. فقبلها وغنته ثم قالت: أبا اسحاق أرأيت أسقط من هؤلاء، يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانا بدرهم!؟ أي أبا اسحاق هلم درهما نشتري به ريحانا. فوثب وصاح: واحرباه! انقطع والله عنك

الوحي اليك. وعطعط القوم بها، وعلموا ان حيلتها لم تنفـذ عليه. ثـ
خرج فلم يعد اليها؛ ورجع القوم الى مجلسهم. فكان أكثر شغلهم حديث
مزيد معها والضحك منه.

( الاغـاني ج 3 ص 112 )

---

1 ) بصيص : جاريـة مولدة مـن مولـدات المدينـة، ويقال ان المهدى اشتراها وهو ولى العهد، سرا من أبيه، بسبعة عشر ألف دينار، فولدت منه علية

2 ) قيان ج قينة : جارية مغنية

3 ) فتياته : قيانـه

4 ) الهمدى : (انظر قطعة 20)

5 ) بدنة : الناقة أو البقرة المسمنة.

6 ) لم تقتـب ولم تركب اى لم يـوضع عليها القتب وهو الرحل الذى يجعل على الناقة لتُركب .

# 169 - ليلـة في مـالـقة

قـال ابو الطاهر اسماعيـل (1) بن احمد التجيبي : كنت بمدينـة مـالـقـة . . . فاعتللت مـدة انقطعت فيها عن التصرف ، ولزمت المنزل وكان يمرضني حينئذ رفيقان، كانا معي يلمان من شعثي ويرفقان بي .

وكنت اذا جنني الليل اشتد سهري ، وخفقـت حـولـي أوتـار العيدان ، والطنابير ، والمعازف من كل ناحية ، واختلطـت الاصـوات بالغناء ، فكان ذلك شديداً علي ، وزائدا في قلقـي وتـألمي .

واني لساهر ليلـة ، بعد اغفاءة في اول ليلتي ، وقد سكنت تلك الالفاظ المكروهة ، وهدأت تلك الضروب المضطربة ، واذا ضرب خفـي معتدل حسن لا أسمع غيره . فكأن نفسي أنست بـه وسكنت اليه ، ولم تنفر منه نفارها من غيره ، ولم اسمع معه صوتا . . . فارتحت اليـه ونسيت الالم ، وتداخلني سرور وطرب ، وخيل الي ان ارض المـنـزل ارتفعت بي ، وان حيطانه تمور حولي . فقلـت في نفسي : امـا هـذا الضرب فلا زيادة عليه! فليت شعري كيف صوت الضارب ؟ ولـم ألبث ان اندفعت جارية تغني بصوت أندى من النوارغـب القطار ، وأحلـى من البارد العذب على كبد الهائم الصب . فلم املك نفسي ان قمـت ، ورفيقاي نائمان ، ففتحت الباب ، وتبعت الصوت وكان قريبـا منـي ، فاطلعت من وسط منزلي على دار فسيحة ، وفي وسط الدار بستان كبير ، وفي وسط البستان شرب ، نحو من عشرين رجلا، قد اصطفوا وبين أيديهم شراب وفاكهة ، وجوار قيام بعيدان وطنابير وآلات لهو ومزامير لا يحركنها ، وجارية جالسة ناحية ، وعودها في حجرها، وكل يرمقها ببصره ويوعيها سمعه ، وهي تغني وتضرب ، وأنـا قائم بحيـث أراهم ولا يرونني، وكأنما انشطت من عقال وكأن لم يكن بي ألم . . .

ثم انصرفت في صباح تلك الليلة، فلقيت صديقا لي من أهل العلم قرطبيا، سكن مالقة. فأخبرته الخبر... فاغرورقت عيناه، وقال: الدار للوزير فلان، والجارية فلانة البغدادية احدى المحسنات من جواري المنصور بن أبي عامر (2)، وصارت الى هذا الوزير بعد موت المنصور وتمزق ملكه.

(شرح المختار من شعر بشار)

---

1) ابو الطاهر اسمعيل: هو شارح كتاب المختار من شعر بشار للخالديين وهو من القيروان وسكن المهدية ويعرف بالبرقى عاش فى اواسط القرن الخامس الهجرى وكان عالما بالاداب مستبحرا شاعرا مجودا من اهل التاليف.

2) المنصور بن ابى عامر: الحاجب: اصله من ناحية الجزيرة الخضراء بالاندلس، قدم قرطبة شابا وطلب العلم ولم تزل حاله تعلو الى ان تعلق بوكالة السيدة ام هاشم بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر. ولما مات الحكم كان هشام صغيرا فحجبه ابو عامر وتلقب هو بالمنصور. كان كثير الغزو محبا لاهل العلم. مات سنة 393 ه 1003 م وكانت مدة امارته نحو من 27 سنة.

# ١٧٠ ـ قاتله الله لقـد استرقه الطرب!

كان رجل من اهل العراق أتى المدينة في طلب جـارية وصفت له قارءه قوالة (1) فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة؛ فأتاه وسأله ان يعرضها عليه فقال: ياعبد الله ابعدت الشقة في طلب هـذه الجارية فما رغبتك فيها؟ قال: انها تغني فتجيد. فقال القاضي: ما علمت بهذا. فألح عليه في عرضها فعرضت بحضرة مولاها القاضي. فقال لها الفتى: هات فغنت: (طويل).

الى خالـد حتى أنخن بخالـد  فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضي بجاريته وسر بغنائها وغشيه من الطرب امـر عظيم حتى اقعدها على فخده وقال: هات شيئا بأبي أنت؛ فغنت (طويل)

أروح الى القصاص كل عشيـة  أرجى ثواب الله في عدد الخطـا

فزاد الطرب على القاضي، ولم يدر ما يصنع فأخذ نعله فعلقلها في أذنه وجثا على ركبته وجعل يأخذ بطرف اذنه والنعل معلقة فيها ويقول: اهدوني الى البيت الحرام فاني بدنة (3)، حتى أدمي أذنه. فلما امسكت أقبل على الفتى فقال: ياحبيبي انصرف، قـد كنا فيها راغبين قبـل ان نعلم انها تقول، فنحن فيها الان ارغب. فانصرف الفتى. وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال: قاتله الله لقد استرقه الطرب؛ وامر بصرفه عن عمله. فلما صرف قال: نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فاني مطية. فبلغ ذلك عمر فأشخصه واشخص الجارية. فلما دخلا على عمر قال لـه: أعد ما قلت قال: نعم. فأعاد ما قال. فقال للجارية اقولي فغنت (طويل)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا  أنيس ولـم يسمر بمكـة سـامر

بلـى نحن كنـا اهلها فأبادنـا  صروف الليالي والجدود العواثر (5)

فما فرغت من هذا الشعر حتى طرب عمر طرباً بيناً، واقبل يستعيدها ثلاثا وقد بلت دموعه لحيته، ثم اقبل على القاضي فقال: قد قاربت في يمينك؛ أرجع الى عملك راشدا...

مروج الذهب

---

I ) قوالة : مغنية إلا أنها تفضل القصائد التى تلهمها الروح الدينية .

2 ) القصاص ج قاص : وهم علماء كان يجلسون فى المساجد ليقصوا أخبار الانبياء والرسل والابطال ليعظوا الناس .

3 ) بدنة : ناقة أو بقرة تسمن لاقامة الولائم أو الشعائر الدينية .

4 ) عمر بن عبد العزيز : تقدمت ترجمته (رقم I3)

5 ) الجدود العواثر : الحظوظ المعاكسة للامانى

الباب الخامس

الفصل الثالث

# الحفلات العائلية

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« اذا دعي أحدكم الى الوليمة فليأتها »



# 171 - حفلة اعذار

قال ابن حيان: (1) كتب الى الاديب بن جابر قال: احتفل المأمون بن ذي النون في مدعاة إعذار حفيده يحيي فحشد امراء البلاد، وجملة الوزراء والقواد، ودعا الجفلى (3) اليها. فاكتملت الاطعمة، وفتحت الابواب، وسهل الحجاب، ورفعت الستور، وجليت (4) المقاصير، وزينت القصور، وأقيمت المراتب، ووكل بكل قسم منها كبير من وجوه الخدمة ضم اليه فريق من الاعوان والوزعة.. قد أخذوا بخفض الاصوات، مع سرعة الحركات، وحث الاقدام.

ولما بكرت أفواج علية الناس الى باب القصر مستبقين، أنزلوا عن دوابهم عند باب القصر، فأذن لهم بالدخول على مراتبهم، فمشوا وقد حفت بهم سراة (5) الصقلب (6) الخصيان، وخواص الحشم والغلمان... وجيء بهم الى الدار الكبرى.. ثم وصلوا الى مجلس قد فرش بالديباج التستري (7) المرقوم بالذهب، وسدلت فوق حناياه ستور من جنسه تكاد تلتمع الابصار بصناعة الوانها واشراق عقيانها (8). وقد جلس لهم الامير في جانب منه، وحفيده في جانب آخر، فأكب الناس عليه يهنئونه ويلثمون أطرافه، ثم ينثنون منه الى حفيدة يدعون له.. ثم عدل بهم الى مكان الاطعمة في المجلس الاول، الواسع القطر، الرحب الابواب، وقد فرش بالوطاء التستري، علقت على ابوابه وحناياه، ستور الطميم (9) المثقلة ذات الصور المقيدة للالحاظ، وقد مدت فيه صنوف الطعام. فأمعنت هذه الطائفة في الاكل ازدقاما وسرطاً واختضاماً وقضماً وانتهالا وعلا (10) ووصفاء الموائد الحافون بهم، يطردون الاذبة عن مجلسهم، بطوال المذاب البديعة الصنعة المقمعة (11) الاطراف بفاخر الحلية.. ثم جيء بهم الى المجلس المرسوم لوضوئهم، وقد فرش ايضا بوطاء الوشي المرقوم بالذهب، وعلقت فيه ستور مثقلة متماثلة، فأخذوا مجالسهم منه، وناولهم الوصفاء رفيع النقاوات (12) والذرائر المطيبات (13) في الاقداح والاشتاندانات (13) الفضيات، المحكمات الصناعة، كادت تغنيهم بطيبات عن الغسل، ثم أدنى لهم إثر ذلك الوضوء في أباريق الفضة، يصبون على أيديهم في طسوس الفضة، وأدنيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها

مـا عليهم من سني الكسوة ، ثم نقلوا الى مجلس التطييب ، افخـم تلـك المجالس ، وهو المجلس المطل على النهر ، فشرع في تطييبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر ، بعد ان نديـت أعراض ثيابهم بشآبيب (14) مـاء الورد يصب فوق رؤوسهم من أوانـي الزجـاج المجدود (15) ، وفياشات البلور المحفورة ، ثم أدني اليهم قواريـر محكمة الصنعة ، قد أترعت بالغوالي الذكية المتخذة من خالص المسك التبتي (17) ومحض العنبر المغربي لاءم بينهما رشح البان (18) البرمكي ، فتنـاولـوا من ذلك حتى لاقطرت سبالهم ذوبانا وأعادت شيبهم شبـانـاً .

( الدخيرة لابن بسام القسم الرابع من المجلد الاول 100 باقتضاب )

---

1 ) ابن حيان : (انظر قطعة 67)

2 ) المأمون بن ذى النون : (إنظر قطعة 67)

3 ) دعا الجفلى : اى دعا الخاصة والعامة ودعا النقرى دعا الخاصة دون العامـة

4 ) جليت : زينت وأظهرت

5 ) سراة الناس : أكابرهم م السرى : هو صاحب المروءة فى شرف .

6 ) الصقليب : مماليك من شمال اوربا الشرقى كان يوتى بهم صغارا فيخصون ويربون تربية اسلاميـه وقد بلغ الكثير منهم المراتب العاليه وعبـد الرحمن الناصر اول من أكثر منهم وعول عليهم فى الامور المهمة .

7 ) التستـرى : منسوبة الى محلة ببغداد نزل بها التستريون واصلهم من خوزستان .

8 ) ذهب يعثر عليه فى الارض غير مخلوط بتراب أو نحوه

9 ) الطميم : نوع من الثوب الحريرى غليظ لين الملمس .

10 ) ازدقم : افتعل من زقم : لقمه وابتلعـه : اختضم : اكل الشيء الطرى الرطب وقضم : أكل الشيء اليابس ـ نهل وانتهل : شرب أول الشرب وعل : شرب ثانية أو تباعا .

11 ) المقمعة : المزيية

12 ) النقاوات : نبات يغسل به المفرد نقاوة ويجمع ايضا على نقاوى

13 ) الذرايرى ج ذريرة أو ذرور وهو نوع من الطيب يوتى به من الهند يوضع فيه الاشنان.

14 ) شآبيب : م شؤبوب : الدفعة من الماء أو المطر

15 ) الزجاج المجدود : المنقوش عليه شبه الطرق المشتبكة .

16 ) فياشات من اللاتنية Flaco والفرنسية Flacon وهى القنينة

17 ) التبتى نسبة الى جبل تبت Thibet بالصين

18 ) البان : شجر معتدل القوم، لين ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دهن طيب . ويشبه به القد لطوله Acacia

## ١٧٢ زواج أمير عربي بأخت سلطان دهلي

لما امر السلطان بتزويج أخته للامير سيف الدين عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله، وعينني لملازمة الامير والكون معه في تلك الايام. فاتى الملك فتح الله بالصيوانات (1) فظلل بها المشورين بالقصر، وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمة، وفرش ذلك بالفرش الحسان. وأتى شمس الدين التبريزي امير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات، والرواقص، وكلهن مماليك السلطان، واحضر الطباخين والخبازين والشوائين والحلوانيين . . . وذبحت الانعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يوما، ويحضر الامراء الكبار والاعزاء ليلا ونهارا. فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين (2) من دار السلطان ليلا الى هذا القصر، فزينه وفرشنه بأحسن الفرش، واستحضرن الامير سيف الدين وكان عربيا غريبا لا قرابة له. فحففن به واجلسنه على مرتبة معينة. وكان السلطان قد امر ان تكون ربيبته (3) ام اخيه مبارك خان مقام ام الامير سيف الدين، وان تكون امرأة اخري من الخواتين مقام اخته، واخرى مقام عمته، واخرى مقام خالته، حتى يكون كأنه بين اهله. ولما اجلسنه على المرتبة جعلن له الحناء في يديه ورجليه، واقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن. وانصرفنا الى قصر الزفاف واقام هو مع خواص اصحابه. وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة. وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوتها على زوجها، ويأتي الزوج بجماعته، فلا يدخلون الا ان غلبوا اصحاب الزوجة، او يعطونهم الالاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم. ولما كان بعد المغرب اتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجواهر، وبشاشية مثل ذلك. ثم ركب الامير سيف الدين في اصحابه وعبيده، وفي يد كل واحد منهم عصاً قد اعدها، وصنعوا شبه إكليل من الياسمين والنسرين والربول (5) وله رفرف يغطي وجه المتكلل به وصدره . . . فجعله الامير

على رأسه واتي باب الحرم، وعليه جماعة الزوجة، فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية، وصرعوا كل من عارضهم.. ودخل المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات، قد أحضرن أنواع الآلات، وكلهن وقوف على قدم إجلالا له وتعظيما. فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر، فنزل وخدم (6) عند اول درجة منه، وقامت العروس قائمة حتى صعد، فأعطته التنبول (7) بيدها، فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها، ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه ولقطتها النساء، والمغنيات يغنين حينئذ، والاطبال والابواق والانقار تضرب خارج الباب. ثم قام الامير، وأخذ بيد زوجته، ونزل وهي تتبعه، فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط؛ ونثرت الدنانير عليه وعلى اصحابه، وجعلت العروس في محفة، وحملها العبيد على اعناقهم الى قصره، والخواتين بين يديها راكبات، وغيرهن من النساء ماشيات؛ واذا مروا بدار أمير أو كبير خرج اليهم، ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته، حتى أوصلوها الى قصره. ولما كان بالغد بعثت العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم، وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر (8)، وكذلك لاهل الطرب. وعادتهم ببلاد الهند الا يعطى أحد شيئا لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس، وأطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضى العرس... (رحلة ابن بطوطة)

---

1 ) الصيوانات : والصوان والصيان (مثلث الصاد) الوعاء الذى تصان فيه الثياب أو الكتب ج أصونة ـ وهنا أغطية من ثوب يظلل بها.

2 ) الخواتين م خاتون : وهن بنات الملوك وازواجهن.

3 ) ربيبة : الحاضنة ـ أى التى ربته وهى زوجة أبيه

4 ) النسرين : ورد أبيض عطرى الرائحة

5 ) الربول م ربل : ضرب من الشجر يتفطر آخر الصيف لطراوة الليل ومن غير مطر.

6 ) خدم : هنا ... قدم تحياته

7 ) التنبول : شجر يغرس كما تغرس دوالى العنب ولا ثمر له، وإنما المقصود ورقه فانه يطيب النهكة ويذهب بروائح الفم، ويهضم الطعام، واعطاؤه عند الهنود أعظم شأنا وأدل على الكرامة من اعطاء الفضة والذهب Bétel

8 ) بدرة ج بدر : عشرة آلاف درهم ـ ومعناها أيضا الكيس.

# 173 - جهاز العروس

اجتمع أصحابنا من المسجديين (1) فأقبل عليهم شيخ فقال: « هل شعر تم بموت مريم الصناع (2)؟ فانها كانت من دوات الاقتصاد وصاحبة اصلاح، قالوا: فحدثنا عنها قال: نوادرها كثيرة، وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال زوجت ابنتها، وهي ابنة اثنتي عشرة سنة، فحلتها الذهب والفضة، وكستها المروى والوشي، والقز والخز، وعلقت المعصفر (3) ودقت الطيب، وعظمت أمرها في عين الختن (4)، ورفعت من قدرها عند الاحماء (5)، فقال لها زوجها: أنى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملة وهاتي التفسير. والله ما كنت ذات مال قديما ولا ورثته حديثا، وما أنت بخائنة في نفسك ولا في مال بعلك، ألا أن تكوني قد وقعت على كنز، وكيف دار الامر؟ فقد أسقطت عني مؤنة وكفيتني هذه النائبة. قالت: اعلم أني، منذ ولدتها الى الآن، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة وكنا - كما قد علمت - نخبز في كل يوم مرة، فاذا اجتمع من ذلك مكوك (6) بعته. قال زوجها: ثبت الله رأيك، وأرشدك، ولقد أسعد الله من كنت له سكنا، وبارك لمن كنت له إلفا، ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من الذود (7) الى الذود إبل، وإني ارجو ان يخرج ولدك على عرقك وعلى مذهبك المحمود، وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية ».

فنهض القوم بأجمعهم الى جنازتها ، وصلوا عليها ، ثم انكفئوا الى زوجها فعزوه على مصيبته ، وشاركوه في حزنـه .

كتاب البخلاء

---

1 ) المسجديين : هم جماعة من الادباء والاعيان كانوا يجتمعون بمسجد البصرة للمذاكرة ومبادلة الآراء فى الاقتصاد، وقد نسب إليهم الجاحظ الكثير من نوادره فى البخل .

2 ) المرأة الصناع : والرجل الصناع : حاذق فى الصنعة، ماهر فـى العـمـل .

3 ) المروى : ثوب منسوب الى مدينة مرو. والوشى : الثوب المزخرف من وشى الثوب : حسنه بالالوان ونمقه: القز: الحريـر والخز: ما نسج من صوف وحرير. المعصفر : المصبوغ بالعصفر وهو صبغ .

4 ) الختن : كل ما كان من قبل المرأة من الاقارب .

5 ) الاحماء : الحمو : يطلق على كل ما كان من قبل الزوج من الاقارب

6 ) مكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع أو نحو ذلك .

7 ) الذود ج أذواد : هى من النوق ما فوق الاثنين ودون العشرة .

# 174 - زواج بثينة بنت المعتمد

لما أحيط بأبيها المعتمد بن عباد (1) ووقع النهب في قصره كانت في جملة من سبي (2) فأشتراها أحد تجار أشبيلية على أنها سرية (3) ووهبها لابنه. فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت: لا أحل لك الا بعقد نكاح ان رضي أبي بذلك، وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لابيها وانتظار جوابه. فكان الذى كتبته بيدها من نظمها ما صورته (كامل).

أسمع كلامي وأسمع لمقالتي ... فهي السلوك (4) بدت من الاجياد

لا تنكروا أني سبيت وأنني ... بنت لملك من بني عباد

ملك عظيم قد تولى عصره ... وكذا الزمان يؤول للافساد

لما أراد الله فرقة شملنا ... وأذاقنا طعم الاسى من زاد

قام النفاق على أبي في ملكه ... فدنا الفراق ولم يكن بمراد

فخرجت هاربة فحازني آمرؤ ... لم يأت في إعجاله بسداد

إذ باعني بيع العبيد فضمني ... من صانني الا من الانكاد

وأرادني النكاح نجل طاهر ... حسن الخلائق من بني الانجاد

ومضى اليك يسوم رأيك في الرضى ... ولانت تنظر في طريق رشادي

فعسى يا أبت تعرفني به ... ان كان ممن يرتجى لودادي

وعسى رميكية (5) الملوك بفضلها ... تدعو لنا باليمن والاسعاد

فلما وصل شعرها لابيها وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والازمات سر هو وأمها بحياتها... فأشهد على نفسه بعقد نكاحها مع الصبي وكتب إليها أثناء كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور:

(سريع)

بنيتي كوني به برة فقد قضى الدهر باسعافه

نفح الطيب

---

1 ) المعتمد بن عباد : (انظر قطعة رقم 129)

2 ) سبيت المرأة : أخذت فى الغزو فهى سبية ج سبايا وتعتبر كالامة

3 ) السرية: الامة التى تقام فى البيت ج سرارى ــ وسرره سرية وسراه : زوجه اياها، وتسرى الرجل : تزوج بسرية

4 ) السلوك : العقود التى تتزين بها المرأة

5 ) الرميكية هى زوجة المعتمد وكانت مشهورة بالجمال والادب .



# 175- بدوي في عرس حضري

قال اعرابي من بني عذرة (1) : أتيت قرية عاصم بن بكر الهلالى ، فاذا انا بدور متباينة، واذا أخصاص (2) منظم بعضها الى بعض، واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون وعليهم ثياب حكوا بها الوان الزهر. فقلت لنفسي: هذا أحد العيدين الاضحى او الفطر؛ ثم رجع الى ما عزب(3) عني من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى في عقب صفر. وقد مضى العيدان قبل ذلك! فبينما أنا واقف ومتعجب أتاني رجل فأخذ بيدي، فأدخلني دارا قوراء (4) وأدخلني بيتا قد نجد في وجهه فرش قد مهدت ، وعليها شاب ينال فرع (5) شعره كتفيه ، والناس حوله سماطان (6) فقلت في نفسي : هذا الامير الذي يحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله ؛ فقلت ، وانا ماثل بين يديه ، « السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته » فجذب رجل بيدي وقال: أجلس فإن هذا ليس بالامير : فقلت : ومن هو؟ قال: عروس. فلم ألبث إذ دخلت الرجال عليها هنات (7) مدورات من خشب وقضبان... فوضعت أمامنا وتحلق القوم حلقا حلقا، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين ايدينا ، فظننتها ثيابا. وهممت عندها أن أسأل القوم خرقا أقطع منه قميصا، فلما بسط القوم ايديهم اذا هو يتمزق سريعا ، واذا هو ، فيما زعموا ، صنف من الخبز لا اعرفه، ثم أتينا بطعام كثير من حلو وحامض، وحار وبارد ، فأكثرت منه... ثم أتينا بشراب احمر في عساس (8) فلما نظرت اليه

قلت: لا حاجة لي فيه، أخاف ان يقتلني. وكان بجانبي رجل ناصح لي - أحسن الله جزاءه - فقال: يا أعرابي، انك قد أكثرت من الطعام، وان شربت الماء انتفخ بطنك... فلم أزل أتداوى به، ولا أمل من شربه، فتداخلني - نالك الخير - صلف لا اعرفه من نفسي وبكاء لا اعرف سببه ولا عهد لي بمثله... وجعلت التفت الى الرجل الناصح لي فتحدثني نفسي بهشم أسنانه، وهشم أنفه (9) ... فبينما نحن كذلك اذ هجم علينا شياطين أربعة: أحدهم قد علق في عنقه جعبة فارسية (10) منتفخة الطرفين، دقيقة، قد شبحت بالخيوط شبحا، وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القر. ثم بدر الثاني فاستخرج من كمه قصبة فوضع طرفها في فيه، فنفخ فيها ثم حسب على جحرة (11) فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكلا بعضه بعضا كأنه - علم الله - ينطق. ثم بدر الثالث عليه قميص وسخ وقد غرق شعره بالدهن معه مرآتان (12) يمري إحداهما على الاخرى مريا. ثم بدر الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصير، وخفان أجذمان لا ساقين لهما، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب، ثم التبط (13) بالارض، فقلت: معتوه ورب الكعبة! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ورأيت الناس يحذفونه (14) بالدراهم حذفا منكرا، ثم أرسلت الينا النساء ان أمتعونا من لهوكم، فبعثوا بهم اليهن، وبقيت الاصوات تدور في آذاننا، وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعلت الاصوات له بالدعاء، فخرج فجاء بخشبة عينها في صدرها، فيها خويطات اربعة، فاستخرج من جنبها عودا فوضعه على أذنه، ثم زم الخيوط الظاهرة فلما أحكمها وعرك آذانها حركها بمجسة في يده، فنطقت ورب الكعبة! واذا هي أحسن قينة رأيتها قط. وغنى عليها فاستخفني في مجلسي حتى قمت فجلست

بين يديه، فقلت: بأبي انت وأمي! ما هذه الدابة؟... فقال: يا اعرابي هذا البربط فقلت: آمنت بالله وبالبربط (16) ...

---

I ) بنو عذرة : هي القبيلة التى ينسب اليها الشعراء الغزلون العذريون ـ لقد ذكرت هذه الحكاية مختصرة فى كتاب العقد الفريد وبتوسيع فى كتاب الاغانى ـ وافرد صاحب الاغانى للراوى ترجمة خاصة وهو ناهض ابن ثومة بن نضيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية ، وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش، طيب الحديث يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة .

2 ) أخصاص : ج خص وهو انبيت من قصب أو شجر .

3 ) عزب عنى : غاب عن دهنى

4 ) دار قوراء : واسعة

5 ) فرع شعره : فرع : الشعر نفسه ج فروع، وأطلق على ما استرسل من شعره .

6 ) سماطان : صفان

7 ) هنات ج هنة مذكرها هن كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء ـ ويقصد بها هنا الموائد .

8 ) عساس : ج عس بالضم وهو القدح الكبير

9 ) هشم أسنانه : كسرها من أصلها ـ وهشم أنفه : كسره ـ منها هشم الخبز : فتته وبله بالمرق فجعله تريدا .

I0 ) جعبة فارسية ربما يقصد بها «الكمانجة» لان الوصف يدل عليها .

II ) حسب على جحره : نقل أصابعه على تقبه ـ يحرك أصابعه كالحاسب عليها

I2 ) مرآتان : هنا قطعتان من نحاس او غيره مصقولاتان ـ يمرى : يضرب

I3 ) التبط: ارتمى؛ من لبط بفلان الارض : ضرب به الارض وصرعه .

I4 ) يحذفونه : يضربونه ويرمونه

I5 ) القينة : المرأة المغنية

I6 ) البربط : العود

الباب الخامس

الفصل الرابع

# الحفلات الدينية

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

« احسنوا لباسكم، واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ».

# 176ـ الاحتفال بالمولد النبوي في قصر أمير المؤمنين احمد المنصور [1]

قال صاحب النفحات المسكية (2) : حضرت المولد الشريف ، بعد القفول من بلاد الترك ؛ فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد ، واستدخلهم لقصره البديع (3) ، المشيد المحتوي على قباب متقابلة عالية ، وقد مد فيها ومهد من فروش الحرير ، وصفت النمارق ، وتدلت الاستار ، والكلل والحجال المخوصة بالذهب ، على باب كل قبة وحنية كل سرير ، ودار على الحيطان حائطات الحرير . فصار الناس يدخلون على طبقاتهم ، ويأخذ كل منهم مرتبته ، من قضاة ، وعلماء ، وصلحاء ، ووزراء ، وقواد ، وكتاب ، وأضياف ، وأجناد ، يتخيل لكل واحد منهم أنه في جنة النعيم . والسلطان جالس في أفخر ملابسه ، تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الاعين والابصار بالتعظيم والاكبار . ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج ، وعليهم الاقبية المخوصة ، والمناطق المرصعة ، والحزم المذهبة ، مما يدهش الناظر . وركز امامهم الشمع الملون . وأذن لعامة الناس ، فدخلوا من أصناف القبائل على اجناسها ، من الاجناد ، والطلبة . وسكنت بعد حين الجلبة ، وأتي بأنواع الطعام في القصاع المالقية والبلنسية المذهبة ، والاواني التركية والهندية ؛ وأتي بالطوس ، والاباريق ، وصب الماء على أيدي الناس ونصبت مباخر العنبر والعود ، وأبرزت صحائف الفضة وأغصان الريحان

الغض فرش بها من ماء الورد والزهر ما يبقى منه الاثر . وتكلم المنشدون ، وأحسن لهم الامير ، ثم ختموا المجلس بالدعاء للسلطان . واذا كان يوم السابع ، يكون ترتيب أبدع من الاول ، وهذه كانت سيرته دائما .

كتاب «نزهة الحادي» ص 144

1 ) أحمد المنصور (انظر قطعة 66)

2 ) النفحات المسكية فى السفارة التركية ـ رحلة كتبها أبو الحسن علی بن محمد التمكروتی الذی أوفده السلطان أحمد المنصور الى تركيا كسفير مات سنة 1003 هـ 1594 م. ودفن بمراكش فی ضريح القاضی عياض .

3 ) القصر البديع : انظر وصفه فى القطعة رقم 66

# 177 ـ ليلة المولد النبوي بتلمسان

كان أبو حمو موسى (1) بن يوسف يقيم، ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بمشوره بتلمسان المحروسة مدعاة حفيلة، يحشر فيها الناس خاصة وعامة. فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وبسط موشاة، ووسائد بالذهب مغشاة، وشمع كالاسطوانات وموائد كالهالات، ومباخر منصوبة كالقباب، يخالها المبصر من تبر مذاب. ويفاض على الجميع أنواع الاطعمة، كانها أزهار الربيع المنمنمة (2) تشتهيها الانفس، وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رياها (3) الارواح. ويخامر؛ رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والاجلال. وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات (4) ترغب في الاقلاع عن الاثام، يخرجون فيها من فن الى فن، ومن أسلوب الى أسلوب، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس، وترتاح الى سماعه القلوب. وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة، قد زخرفت كأنها حلة يمانية، لها أبواب مرتجة على عدد ساعات الليل الزمانية. فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها، وفتح عند ذلك باب من أبوابها، وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم في تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة. هكذا حالهم الى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادي: حي على الفلاح.

ازهار الرياض

---

1 ) أبو حمو موسى : أمير من أمراء بنى عبد الوادى الذين كانت عاصمتهم تلمسان فى عهد بنى مرين (1300 ــ 1318 م)

2 ) المنمنمة : المزينة. نمنمت الريح الرمل أو الماء : تركت عليه أثرا شبه الكتابة . والثوب المنمنم : المرقوم الموشى

3 ) الريا : الريح الطيبة

4 ) المكفرات : من كفر الله له الذنب : محاه . وكفر عن يمينه أو إثمه: أعطى الكفارة : أي ما يغفر به الذنب.

# 178- خروج سلطان الهند للعيدين

واذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوك، والخواص، وأرباب الدولة، والاعزاء، والكتاب، والحجاب والنقباء والقواد، والعبيد، وأهل الاخبار الخلع التي تعمهم جميعا.

فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر، ويكون منها ستة عشر فيلا لا يركبها أحد، إنما هي مختصة بركوب السلطان، ويرفع عليها ستة عشر شطرا (1) من الحرير، مرصعة بالجوهر قائمة (2) كل شطر منها ذهب خالص، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر. ويركب السلطان فيلا منها، وترفع أمامه الغاشية، وهي ستار سرجه، وتكون مرصعة بأنفس الجواهر؛ ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه، وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب، وعلى وسطه منطقة ذهب، وبعضهم يرصعها بالجوهر؛ ويمشي بين يديه ايضا النقباء، وهم نحو ثلاثمائة، وعلى رأس كل واحد منهم أقروف ذهب، وعلى وسطه منطقة ذهب، وفي يده مقرعة نصابها (3) ذهب؛ ويركب قاضي القضاة... وسائر القضاة، وكبار الاعزاء من الخراسانيين، والعراقيين، والشاميين والمصريين، والمغاربة، كل واحد منهم على فيل... ويركب المؤذنون ايضا على الفيلة، وهم يكبرون، ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب، والعساكر تنتظره، وكل أمير بفوجه على حدة، معه طبوله وأعلامه. ويقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة، وأمامهم القضاة والمؤذنون، يذكرون الله تعالى، وخلفهم جميع اهل دخلته (4) ثم يتلوها أخو السلطان وابن أخيه وابن عمه، ثم الوزير

ثم الملوك، كل من هؤلاء بمراتبه وعساكره... وجميع من يركب في ذلك اليوم يكون مدرعا هو وفرسه، وأكثرهم مماليك السلطان، فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه، وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزا ، ثم ينزل السلطان ويصلي الامام ويخطب. فان كان عيد الاضحى أتى السلطان بجمل فنحره برمح، بعد ان يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل ويعود الى قصره.

رحلة ابن بطوطة

---

1 ) شطر : هنا قطعة من الثوب

2 ) قائمة : ما يسمى بالمغرب : «الاقامة» للجلاليب وفساتين النساء الخ أى ما تخاط به وتزوق من حرير وغيره

3 ) نصابها : هنا قبضتها

4 ) أهل دخلته : القربون اليه

# 179 - معادة وشاة العيد

قال أحد المسجديين (1)، الذين كانوا يجتمعون بالبصرة: لم أرفي وضع الامور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعادة العنبرية. قالوا: وما شأن معادة هذه؟ قال: أهدى العام ابن عم لها ضحية فرأيتها كئيبة حزينة مطرقة فقلت لها: مالك يا معادة؟ قالت: أنا امرأة أرملة وليس لي قيم ولا عهد لي بتدبير لحم الاضاحى وذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه، وقد خفت ان يضيع بعض هذه الشاة ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أمكانها. وقد علمت ان الله لم يخلق فيها ولا فى غيرها شيئا لا منفعة فيه، ولكن المرء يعجز لامحالة. ولست أخاف من تضييع القليل الا انه يجر تضييع الكثير. أما القرن فالوجه فيه معروف وهو ان يجعل منه كالخطاف ويسمر فى جدع من أجداع السقف، فيعلق عليه الزبل (2) والكيران (3) وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان (4) والحيات وغير ذلك. وأما المصران فانه لاوتار المندفة (5) وبنا الى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله ان يكسر بعد ان يعرق ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللادام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخد تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقودا قط أصفى ولا أحسن لهبا منه، واذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر لقلة ما يخالطها من الدخان وأما الاهاب (7) فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تعد، وأما الفرث والبعر فحطب اذا جفف عجيب.

ثم قالت: بقي الان علينا الانتفاع بالدم، وقد علمت ان الله

- عز وجل - لم يحرم من الدم المسفوح الا اكله وشربه، وان له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها، وإن انا لم اقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به صار كية في قلبي، وقذى (8) في عيني، وهما لا يزال يعودني. قال، فلم ألبث ان رأيتها قد تبسمت فقلت: ينبغي ان يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل، ذكرت ان عندي قدورا شامية جددا، وقد زعموا انه ليس شيء ادبغ ولا ازيد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم، وقد استرحت الان اذ وقع كل شيء موقعه. قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي انت! لم يجيء وقت القديد بعد؛ لنا في الشحم والالية والجنوب والعظم المعرق، وفي غير ذلك معاش، ولكل شيء إبان.

كتاب البخلاء

---

1 ) المسجديون : انظر قطعة 173

2 ) الزبل ج زبيل : قفة أو وعاء او جراب

3 ) الكيران ج كور مجمرة من طين

4 ) بنت وردان : دويبة كريهة الريح تألف الاماكن القذرة فى البيوت.

5 ) المندفة والمندف : خشبة النداف التى يندف بها لقطن أى يضربه لنخرج ما به من وسخ .

6 ) عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم وأخذه كله

7 ) الاهاب : الجلد

8 ) القذى : ما يقع فى العين أو فى الماء من تبسنة ونحوها. يقال : فلان يغضى على القذى : اى يتحمل الضيم ولا يشكو

# 180 - طواف النساء بالبيت الحرام في شهر رجب

وفي اليوم التاسع والعشرين منه، وهو يوم الخميس، أفرز البيت للنساء خاصة. فاجتمعن من كل أوب، وقد تقدم احتفالهن لذلك بأيام، كاحتفالهن للمشاهد الكريمة. ولم تبق امرأة بمكة الا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم. فلما وصل الشيبيون (1) لفتح البيت الكريم على العادة، أسرعوا في الخروج منه، وأفرجوا للنساء عنه، وأفرج الناس لهن عن الطواف وعن الحجر، ولم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال، وتبادرت النساء الى الصعود حتى كاد الشيبيون لا يخلصون بينهن عند هبوطهم من البيت الكريم. وتسلسل بعضهن ببعض، وتشابكن، حتى تواقعن: فمن صائحة، ومعولة، ومكبرة، ومهللة.. وتمادين على ذلك صدرا من النهار، وانفسحن في الطواف، وتشفين من تقبيل الحجر واستلام الاركان؛ وكان ذلك اليوم عندهن الاكبر ويومهن الازهر، نفعهن الله به، وجعله خالصا لكريم وجهه. وبالجملة فهن مع الرجال مسكينات مغبونات، يرين البيت الكريم ولا يلجنه، ويلحظن الحجر المبارك ولا يستلمنه فحظهن من ذلك كله النظر والاسف المستطير مستشعر، فليس لهن سوى الطواف على البعد. وهذا اليوم الذي هو من عام الى عام فهن يرتقبنه ارتقاب أشرف الاعياد، ويكثرن له من التأهب والاستعداد. والله ينفعهن في ذلك بحسن النية والاعتقاد بمنه وكرمه آمين.

رحلة ابن جبير

1) الشيبيون : بنو شيبة ومنهم سدنة البيت

# 181 - امير عراقي بعرفات

وكذلك وصل الامير العراقي في جمع لم يصل قط مثله، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخرسانيين، ومن النساء العقائل (1) المعروفات بالخواتين (2)، ومن السيدات بنات الامراء، كثير.. وكانت محلة هذا الامير العراقي جميلة المنظر، بهية العدة، رائقة المضارب (3) والابنية، عجيبة القباب والاروقة.. فأعظمها مرأى مضرب الامير، وذلك أنه احدق به سرادق كالسور من كتان، كأنه حديقة بستان، او زخرفة بنيان. وفي داخله القباب المضروبة؛ وهي كلها سواد في بياض، مرقشة ملونة، كأنها أزاهير الرياض. وقد جللت صفحات ذلك السرادق من جوانبه الاربعة كلها، اشكال درقية من ذلك السواد المنزل في البياض، يستشعر الناظر اليها مهابة، يتخيلها درقا لمطية قد جللتها مزخرفات الاغشية. ولهذا السرادق ابواب مرتفعة كأنها ابواب القصور المشيدة، يدخل منها الى دهاليز وتعاريج، ثم يفضى منها الى الفضاء الذي فيه القباب، وكأن هذا الامير ساكن في مدينة قد احدق بها سورها، تنتقل بانتقاله وتنزل بنزوله، وهي من الابهات الملوكية المعهودة..

وداخل تلك الابواب حجاب الامير وخدمه وغاشيته، وهي ابواب مرتفعة يجيء الفارس برايته فيدخل منها دون تنكيس ولا تطأطؤ، قد احكمت اقامة ذلك كله احراش وثيقة، فتصل بأوتاد مضروبة، دبر ذلك كله بتدبير هندسي غريب... ولسائر الامراء الواصلين صحبة هذا الامير مضارب، دون ذلك، ولكنها على تلك الصفة، وقباب بديعة

الشكل، قامت كأنها التيجان المنصوبة. ولهم ايضا في مراكبهم على الابل قباب تظلهم، قد نصبت على محامل من الاعواد يسمونها القشاوات، وهي كالثوابيت المجوفة، وهي لركابها من الرجال والنساء كالمهدة للاطفال، تملأ بالفروش الوثيرة، ويعقد الراكب فيها مستريحا، وبازائه معادله او معادلته، فيسار بهما، وهما نائمان لا يشعران، او كيفما احبا. فعندما يصلان الى المرحلة التي يحطان بها، ضرب لهما سرادقها في الحين. وان كانا من اهل الترف والتنعم فانه يدخل بهما السرادق، وهما راكبان وينصب لهما كرسي ينزلان عليه، فينتقلان من ظل قبة المحمل الى ظل قبة المنزل، دون واسطة هواء يلحقهما، ولا خطفة شمس تصيبهما.

رحلة ابن جبير

---

1 ) العقائل : ج العقيلة : وهى المرأة الكريمة المخدرة

2 ) الخواتين : ج الخاتون وهى بنت الامير أو الملك

3 ) المضارب : الاخبية والخيام، ضرب الخيمة : نصبها

# 182 ـ الاحتفال بفاتــح رجب الفــرد بـمـكــة

هذا الشهر المبارك عند اهل مكة موسم من المواسم المعظمة ، وهو اكبر اعيادهم ؛ ولم يزالوا على ذلك قديما وحديثا . . . وهـو شهـر الله الاصم (1) كما جاء في الحديـث عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلـم . والعمرة (2) الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية ، لانهـم يحتفلـون فيها الاحتفال الذي لم يسمع مثله . . شاهدنا من ذلك أمرا يعجز الوصف عنه . . وذلك اننا عاينا شوارع مكة وأزقتها من عصر يوم الاربعاء ، وهي العشية التي ارتقب فيها الهلال ، قد امتلأت هـوادج مشـدودة عـلى الابـل ، مكسوة بانواع كساء الحرير وغيرها من ثياب الكتان الرفيعة ، بحسب سعة احوال أربابها ووفرهم . كل يتأنق ويحتفل بقدر استطاعته . فأخذوا في الخروج الى « التنعيم » ميقات (2) المعتمرين ، فسألت تلك الهوادج فى أباطح مكة وشعابها ، والابل قد زينت تحتها بأنواع التزيـين . . وربما فاضت الاستار التي على الهوادج حتى تسحب أذيالها على الارض . . فلما قضينا العمرة وطفنا ، وجئنا للسعي بين الصفا والمروة ، وقد مضى هدؤ من الليل ، أبصرنا المسعى كـلـه سرجاً ونيراناً ، وقـد غـص بالساعيـن والساعيات على هوادجهن ، فكـنـا لا نتخلص الا بين هوادجهـن وبين قوائم الابل ، لكثرة الزحام واصطكاك الهوادج بعضها على بعض . فعاينا ليلة هي أغرب ليالي الدنيا . فمن لم يعاين ذلك لم يعايـن عجباً يحدث بـه ، يذكره مرأى الحشر يوم القيامة ، لـكثرة الخـلائق فيـه ، محرميـن

ملبين داعين الى الله عز وجل ضارعين ، والجبال المكرمة بحافتي الطريق تجيبهم بصداها حتى سكت المسامع وسكبت المدامع وذابت القلوب الخواشع .

رحلة ابن جبير

---

1 ) الشهر الاصم : لا تسمع فيه جلبة الحروب ولا طلصة السلاح لانه من الاشهر الحرم ـ وسمى بالفرد لانه لا يسبقه ولا يتبعه شهر حرام ـ والاشهر الحرم الاخرى هى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وهى متتابعة .

2 ) الميقات : هو المكان الذى يحرم فيه الحاج او المعتمر، والعمرة يكون فيها الاحرام والطواف والسعى ويمكن ان تؤدى فى جميع شهور السنة بخلاف الحج الذى لا يكون الا فى ذى الحجة .

3 ) محرمين : لا بسين الاحرام وملبين : رافعين اصواتهم بالتلبية

الباب السادس

# الحياة الاقتصادية

الفصل الاول

## الاسفار

قال عليه الصلاة والسلام :
« سافروا تصحوا وترزقوا »

ان اكثر سكان جزيرة العرب بدو رحالون ، يقضون معظم حياتهم مغورين منجدين ، وأعز مطاياهم التي تغنى بها شعراؤهم النياق المهرية السريعة والصافنات الجياد « العاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا » .

ولم يكن اتصال العرب بالامم الاخرى ليخمد حبهم للمغامرات ، بل لم يزدهم ذلك الا شغفا باختيار الجياد ، وركوب متن البحار ، واختراق الآفاق ، ومضاهاة رواد الاقطار ، من صينيين وفينقيين ويونان ورومان وغيرهم . ولقد وجد المسلمون في تعاليم دينهم ما حملهم على شد الرحال ، والاعتصام بعصا التجوال ، لنشر العقيدة المحمدية ، وحج بيت الله الحرام ، وزيارة البلدان النائية ، وغشيان الصحاري الكبرى ، طلباً للرزق والعلم .

هذا ولقد مهدت المسالك للقوافل ، وأمنت الموانيء للسفائن النهرية والبحرية ، وبنيت الخانات والمنازل لايواء المسافرين، واكثرت الرباطات والاديرة لاكرام المجتازين ، فقامت صلات تجارية وعلمية فيما بين الاندلس وأقاصي المشرق ، وتأتى للمغامرين ، أمثال ابن بطوطة ، وابن جبير ، والمقدسي ، والمسعودي ، وابن حوقل ، وابن خلدون ، والبيروني الخ . ان يركبوا البحار ، ويقطعوا المفاوز والقفار ، متطلعين لمحاسن البلاد ، واخلاق العباد ، غير مكترثين بفراق الاوطان ، ولا بما كانوا يقاسونه أحيانا من أنواع الآلام .

## المراجع المهمة

1 ) كتب المسالك والممالك.
2 ) رحلة ابن بطوطة ورحلة ابن جبير .
3 ) منتخبات من آثار الجغرافيين للاستاذ بلاشر باب 2 .
4 ) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجري ( فصول 27 ـ 28 ـ 29 ).

# 183 ـ القوافل بين قوص وعيذاب[1]

«تزودنا الماء لثلاثة أيام وفوزنا (2) سحر يوم الجمعة، وسرنا في الصحراء، نبيت حيث جـن علينا الليل. والقوافل العيدابية والقوصية صادرة وواردة، والمفازة معمورة أمناً. ولا يسافـر في هـذه الصحراء الا على الابل لصبرها على الظمأ. وأحسن ما يستعين به ذوو الترفيه،



قافلة في الصحراء المغربية

الشقاديف، وهـي أشباه المحـامل، وأحسـن أنـواعهـا اليمـانية، لانهـا كالاشاكين (3) السفرية، مجلدة متسعة، يوصل منها الاثنان بالحبال الوثيقة، وتوضع على البعير، ولها أدرع (4) قد حفت بأركانها، يكون

عليها مظلة، فيكون الراكب فيها مع عديله (5) فى كـن من لفح الهاجرة، ويقعد مستريحا في وطائه ومتكئا، ويتناول مع عديله ما يحتاج اليه من زاد وسواه، ويطالع من شاء المطالعة في مصحف أو كتاب، ومن شاء ممن يستجيز اللعب بالشطرنج أن يلاعب عديله متفكها وإجماماً للنفس لاعبه. وبالجملة هي مريحة من نصب السفر، واكثر المسافرين يركبون الابل على أحمالها، فيكابدون من سموم الحر عنتاً ومشقة. ورمنا في هذا الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ولا سيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند، الواصلة الى اليمن ثم من اليمن الى عيذاب. واكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل إنك تلتقي بقارعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة وغيرهما من السلع مطروحة لا حارس لها، تترك بهذا السبيل اما لاعياء الابل الحاملة لها أو غير ذلك من الاعذار، وتبقى بموضعها الى ان ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المار عليها من أطوار الناس.

رحلة ابن جبير

1 ) قوص قرية فى وادى النيل قربه قنا وعيذاب قرية بشاطىء البحر الاحمر .

2 ) فوزنا : دخلنا المفازة أى الصحراء وسميت كذلك تفاؤلا

3 ) الاشاكين : من الاسبانية «اشكانة» وهى مقاعد ذات متكأ

4 ) أدرع : قطع من خشب طويلة تصل بين الاركان ، والكلمة لا زالت مستعملة بالمغرب

5 ) العديل : هو الذى يعادله لئلا يميل المحمل الى وجهه

6 ) كن ج أكنان : وقاء كل شىء وستره

# 184 ـ بين المدينة وبغداد

قال ابن جبير: وفي ضحوة يوم السبت، الثامن لمحرم المذكور والحادي والعشرين من شهر ابريل، كان رحيلنا من المدينة المكرمة الى العراق... وكان من عادة أمير الحج ان يسرى بالحاج من نصف الليل الى ضحيته، ثم ينزل الى أول الظهر، ثم يرحل وينزل مع العشاء الاخرة، ثم يقوم نصف الليل، هذا دأبه، ونزلنا ليلة الخميس الثالث عشر لمحرم وسادس يوم رحيلنا على ماء يعرف بالقرورة وهى مصانع (1) مملؤة بماء المطر. وهذا الموضع هو وسط أرض نجد؛ وما أرى ان في المعمور أرضا افسح بسيطاً، ولا اطيب نسيماً، ولا اصح هواء، ولا امد استواء، ولا اصفى جوا، ولا أنقى تربة ولا انعش للنفوس والابدان، ولا احسن اعتدالا في كل زمان، من ارض نجد... وفي يوم الخميس المذكور، مع ضحوة النهار، نزلنا بالحاجر، والماء فيه في مصانع، وكنا نتخوف في هذا الطريق قلة الماء لا سيما مع عظم هذا الجمع الاناسي والانعامي، الذين لو وردوا البحر لانزفوه واستقوه، فأنزل الله من سحب رحمته ما اعاد الغيطان (2) غدراناً، وصير الوهاد مملؤة عهاداً (3). وفى يوم الجمعة بعده، نزلنا ضحوة النهار سميرة، وهي موضع معمور، وفي بسيطها شبه صحن، يطيف به حلق كبير مسكون، والماء فيه في آبار كثيرة، الا انها زعاق (4) ومستنقعات، وبرك، وتبايع فيها العرب مع الحاج فيما أخرجوه من لحم وسمن ولبن؛ فبادروا الابتياع لذلك بشقق الخام التى يستصحبونها لمشاراة الاعراب، لانهم لا يبايعونهم الا بها.. وهذه الآبار والبرك والمصانع والمنازل التى من

بغداد الى مكة من آثار زبيدة زوج هارون الرشيد ... ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق . وفي يوم السبت الثاني والعشرين، نزلنا بموضع يعرف بالشقوقي، وفيه مصنعان الفيناهما مملؤين ماء عذباً صافياً فأراق الناس مياههم وجددوا مياها طيبة واستبشروا بكثرة الماء.. واحد هذين المصنعين صهريج عظيم الدائرة كبيرها، لا يكاد يقطعه السابح الا عن جهد ومشقة، وكان الماء قد علا فيه ازيد من قامتين فتنعم الناس من مائه سباحة واغتسالا وتنظيف اثواب، وكان يومهم فيه من ايام راحة السفر.

رحلة ابن جبير



1 ) المصانع ج مصنع : ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض

2 ) الغيطان م. غوطة : المطمئن من الارض

3 ) عهاد م. عهد وعهدة وعهده : أول مطر الربيع، وهنا ماء المطر

4 ) الزعاق : الماء المر الذى لا يستطاع شربه

5 ) الخام : نسيج من القطن ج اخوام والشقق القطع

# 185 ـ أميرات يقدن قوافل الحج

واتفق رحيلنا من بغداد الى الموصل إثر صلاة العصر من يوم الاثنين الخامس عشر لصفر.. ونحن في صحبة الخاتونين (1) خاتون بنت مسعود (2) وخاتون أم معز الدين صاحب الموصل وأرض العجم. وتوجه حاج خراسان وما يليها صحبة الخاتون الثالثة ابنة الملك الدقوس، وطريقهم على الجانب الشرقي من بغداد، وطريقنا نحن الى الموصل على الجانب الغربي منها. وهاتان الخاتونان هما أميرتا هذا العسكر الذي توجهنا فيه، وقائدتاه. والله لا يجعلنا تحت قول القائل:

« ضاع الرعيل (3) ومن يقوده ».

وفي تلك العشية التي رحلنا فيها فاجأتنا خاتون المسعودية المترفة شباباً وملكاً، وهي قد استقلت في هودج موضوع على خشبتين معترضتين بين مطيتين الواحدة امام الاخرى، وعليهما الجلال المذهبة، وهما يسيران بها سير النسيم سرعة ولينا، وقد فتح لها، امام الهودج وخلفه، بابان، وهي ظاهرة في وسطه متنقبة وعصابة ذهب على رأسها، وأمامها رعيل من فتياتها وجندها، وعن يمينها جنائب المطايا والهماليج (4) العتاق، ووراءها ركب من جواريها وقد ركبن المطايا والهماليج على السروج المذهبة، وعصبن رؤوسهن بالعصائب الذهبيات، والنسيم يتلاعب بعذباتهن (5) وهن يسرن خلف سيدتهن سير السحاب، ولها الرايات والطبول والبوقات، تضرب عند ركوبها وعند نزولها، وأبصرنا من نخوة الملك النسائي واحتفاله رتبة تهز الارض هزا وتسحب أذيال الدنيا عزا. ويحق ان يخدمها العز ويكون لها هذا الهز، فان

مسافة مملكة أبيها نحو اربعة أشهر ، وصاحب القسطنطينية يـؤدي اليه الجزية ، وهو من العدل في رعيته على سيرة عجيبة ، ومن موالاة الجهاد على سنة مرضية .

رحلـة ابن جبـير



---

I ) الخاتون ج خواتين : الاميرة

2 ) مسعود ومعز الدين والملك الدقوس من الملوك الاتابكية وهم من السلاحقة والاتراك ـ اقتسموا النفوذ فى الشام والجزيرة وبلاد العجم ـ وقد كثر عددهم وتشابهت القابهم ـ فلنكتف بالقول ان ابن جبير غادر دمشق راجعاً الى وطنه سنة 580 هـ 1184 م

3 ) الرعيل : اسم كل قطعة متقدمة من رجال او خيل او طير. ج رعال

4 ) الهماليج ج هملاج : وهو البردون الحسن السير

5 ) عذبة : ما يسدل من عمامة او عصابة

# 186 ـ عاصفة في البحـــر

واقلعنا من المرسى المذكور يوم الاثنين، التاسع عشر لشعبان المذكور، بريح طيبة موافقة. فاستبشرنا بها، واستطلعنا جميل صنع الله ولطف قضائه لا رب سواه. وتمادى سيرنا الى يوم الخميس الثاني والعشرين لشعبان. ثم انقلبت الريح غربية، وانشأت سحابة فيها رعد قاصف، وزجتها (1) ريح عاصفة، وتقدمها برق خاطف، فأرسلت حاصبا من البرد (2) صبته علينا في المركب شآبيب متداركة. فارتاعت له النفوس ثم اسرع انقشاعها وانجلى عن الانفس ارتياعنها وبتنا ليلة الجمعة مبيت وحشة، وطالعنا البأس من مكمنه. فلما اسفر الصبح وطلع النهار، ابصرنا بر صقلية لائحا امامنا. فيالها من بشرى ومسرة لو لم تعد حسرة في كرة. فأمسينا ليلة السبت، فما كان الا كلا ولا حتى ضربت في وجوهنا ريح انكصتنا على الاعقاب، وحالت دون الابصار والارتقاب، وما زالت تعصف حتى كادت تنسف وتقصف، فحطت الشرع عن صواريها، واستسلمت النفوس لباريها (3)، وتركنا بين السفينة ومجريها (4)، وتتابعت علينا عوارض ديم (5)، حصلنا منها ومن الليل والبحر في ثلاث ظلم، وعباب (6) الموج تتوالى صدماته وتطفر (7) الالباب رجفاته؛ فنبذت نفوسنا كل امنية، وتأهبت للقاء المنية؛ وقطعنا هذه الليلة البهماء (8) في مصادمة أهوال؛ ومكابدة اوجال، ومقاساة أحوال، يالها من أحوال! ثم اصبحنا يوم السبت ليوم عصيب اخذ من هول ليلته بأوفر نصيب، والامواج والرياح تترامى بنا حيث شاءت، وقد استسلمنا للقضاء، وتمسكنا بأسباب الرجاء، ثم

تداركنا صنع الله مع المساء، ففترت الريح، ولان متن البحر، واسفر وجه الجو، واصبحنا يوم الاحد وقد بدل لنا من الخوف الامان.

رحلة ابن جبير

---

1 ) زجه : طعنه وهنا دفع

2 ) البرد : ماء الغمام يتجمد فى الهواء البارد ويسقط على الارض حبوبا وحصبة : رماه بالحصباء أى الحصى واحدتها حصبة ـ شبه البرد بالحصباء

3 ) البارى : الخالق

4 ) المجرى : هنا هو الله

5 ) الديمة ج ديم: مطر يدوم فى سكون والعوارض م.عارض: السحاب

6 ) عباب الموج : الامواج المرتفعة

7 ) تطفر الالباب : تجعلها تثب

8 ) البهماء : الشديدة الظلام

9 ) اوجال م وجل : الخوف

# 187 ـ مركب من مراكب الصين الكبيرة

ومراكب الصين ثلاثة اصناف: الكبار منها تسمى الجنوك واحدها جنك والمتوسطة تسمى الزو، والصغار يسمى احدها الككم، ويكون في المركب الكبير منها اثنى عشر قلعا فما دونها الى ثلاثة؛ وقلعها من قضبان الخيرزان منسوجة كالحصر لا تحط ابدا، ويديرونها بحسب دوران الريح، واذا ارسوا تركوها واقفة في مهب الريح. ويخدم في المركب منها الف رجل منهم البحرية ستمائة، ومنهم اربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة... والجرخية وهم الذين يرمون بالنفط، ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة: النصفي، والثلثي، والربعي. ولا تصنع هذه المراكب الا بالصين. وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب، يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا، موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام، طول المسمار منها ثلاثة اذرع. فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب، صنعوا على اعلاهما فرش المركب الاسفل، ودفعوهما في البحر واتموا عمله، وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء، ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم، وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاديفهم وهي كبار كالصواري، يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلا. ويجدفون وقوفا على اقدامهم. ويجعلون للموكب اربعة ظهور، ويكون فيه البيوت والمصاري والغرف للتجار. والمصرية منها يكون فيها البيوت وعليها المفتاح يسدها صاحبها، ويحمل معه الجواري والنساء، وربما كان

الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصلا الى بعض البلاد. والبحرية يسكنون فيها اولادهم، ويزرعون الخضر والبقول والزنجبيل في احواض خشب. ووكيل المركب كأنه امير كبير، اذا نزل الى البر مشت الرماة والحبشة بالحراب والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه، واذا وصل الى المنزل الذي يقيم به ركزوا رماحهم على جانبي بابه، ولا يزالون كذلك مدة اقامته. ومن اهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاء الى البلاد وليس في الدنيا اكثر اموالا من اهل الصين.

رحلة ابن بطوطة

# 188 - وصف سفينة للتنزه

قال عبد اللطيف البغدادي في كتابه « الافادة والاعتبار » : واغرب ما رأيت من سفن المصريين، مركب يسمونه « العشيري »، شكل شبارة دجلة، ( وهي سفينة عراقية )، الا انه اوسع منها بكثير، واطول واحسن هنداما. فقد سطح بألواح ثخينة محكمة، واخرج منها إفريز كالرواشن (1) نحو ذراعين، وبني فوق السطح بيت من خشب، وعقد عليه قبة، وفتح لها طاقات وروازن (2) بأبواب الى البحر من سائر جهاته، ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض، ثم يزوق بأصناف الاصباغ، ويدهن بأحسن الادهان. وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا على وسادته، خواصه حوله، والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن، واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب؛ والملاحون تحت السطح ايضا وفي باقي المركب يقدفون بهم، لا يعلمون شيئا من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم، بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده، واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه، دخل لمخدع. واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض.

تعليق للدكتور جمال الدين الشيال
في كتاب « اتعاظ الحنفاء للمقريزي »
الذي طبعه سنة 1945

---

I ) الرواشن : ج روشن ما يكون خارجا عن البناء ومطلا على الشارع
2 ) الروازن م روزنة : وهى الكوة

# 189 ـ السفر في العربـات

« .. وسافرت الى قرم (1) ، وفيها اشتريت العجلات (2) للركوب ، وهم يسمون العجلة عربة ، وهي عجلات تكون للواحدة منـهن أربع بكرات (3) كبار ، ومنها ما يجره فرسان ، ومنها ما يجره أكثر من ذلك ؛ وتجرها ايضا البقر والجمال على حال العربة في ثقلها او خفتها . والذي يخدم العربة يركب إحدى الافراس التي تجرها ، ويكون عليها سرج ، وبيده سوط يحركها للمشي ، وعود كبير يصوبها به اذا عاجت عن القصد . ويجعل على العربة شبه قبة من قضبان خشب مربوط بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق ، وهي خفيفة الحمـل ، وتكسى باللبـود او بالملف ، ويكون فيها طبقات مشبكة ، ويـرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ، ويتقلب فيها كما يحب ، وينام ويأكل ويقرأ ويكتب ، وهـو فى حال سيره . والتي تحمل الاثقال والازواد وخزائن الاطعمة من هـذه العربات ، يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليها قفل .

رحلة ابن بطوطة

---

1 ) قرم : مدينة بالتركستان بلاد السلطان محمد أوزبك خان، الذى كان متزوجا بأميرة يونانية، وقد ذهب ابن بطوطة صحبتها الى قسطنطينـة

2 ) العجلات : العربات

3 ) البكرات : العجلات وهو الاسم المتخذ اليوم للدواليب

# 190 - اسفار المقدسي

«.. اعلم ان جماعة من أهل العلم، ومن الوزراء، قد صنفوا في هذا الباب (1)، غير ان اكثر تصانيفهم بل كلها، سماع لهم؛ ونحن فلم يبق اقليم الا وقد دخلناه، وما تركنا مع ذلك البحث والنظر في الغيب. فانتظم كتابنا هذا ثلاثة اقسام: احدها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره. وما بقيت خزانة الا وقد لزمتها، ولا تصانيف فرقة الا وقد تصفحتها، ولا مذاهب قوم الا وقد عرفتها، ولا اهل زهد الا وقد خالطتهم، ولا مذكرو (2) بلد الا وقد شهدتهم، حتى استقام لي ما ابتغيته في هذا الباب. ولقد سميت بستة وثلاثين اسما، دعيت وخوطبت بها، مثل مقدسي، وفلسطيني، ومصري، ومغربي، وخرساني.. وفقيه وصوفي، وولي، وعابد، وزاهد، وسياح، ووراق، وغير ذلك لاختلاف البلدان التي حللتها، وكثرة المواضع التي دخلتها. ثم انه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين الا وقد اخذت منه نصيباً غير الكدية (3)، وركوب الكبيرة (4): فقد تفقهت، وتأدبت، وتزهدت، وتعبدت، وفقهت، وأدبت، وخطبت على المنابر، وأذنت على المنائر، وأممت (5) في المساجد، وذكرت في الجوامع، واختلفت الى المدارس، ودعوت في المحافل، وتكلمت في المجالس، وأكلت مع الصوفية الهرائس (6)، ومع الخانقائيين (7) الثرائد، ومع النواتي (8) العصائد (9). وطردت في الليالي من المساجد، وسحت في البرارى، وتهت في الصحاري، وصدقت في الورع زماناً، وأكلت الحرام عيانا، وصحبت عباد جبل لبنان

وخالطت حينا السلطان . وملكت العبيد ، وحملت على راسي بالزبيل ، واشرفت مرارا على الغرق ، وقطع على قوافلنا الطرق ، وخدمت القضاة والكبراء ، وخالطت السلاطين والوزراء ، وصاحبت في الطرق الفساق ، وبعت البضائع في الاسواق ، وسجنت في الحبوس ، واخذت على اني جاسوس ، وعاينت حرب الروم بالشواني (10) ، وضرب النواقيس في الليالي ، وجلدت المصاحف بالكراء ، واشتريت الماء بالغلاء ، وركبت الكنائس (11) والخيول ، ومشيت في السمائم (12) والثلوج ، ونزلت في عرصة الملوك بين الاجلة ، وسكنت بين الجهال في محلة الحاكة (13) ؛ وكم نلت العز والرفعة ، ودبر في قتلي غير مرة ، وحججت وجاورت (14) وغزوت ، ورابطت ، وشربت بمكة من السقاية (15) السويق (16) ، وأكلت الجلبان والخبز بالسيق (17) ، ومن ضيافة ابراهيم الخليل (18) وجميز عسقلان السبيل (19) ، وكسيت خلع الملوك ، وامروا لي بالصلات ، وعريت وافتقرت مرات ، وكاتبني السادات ووبخني الاشراف ، وعرضت علي الاوقاف ، وخضعت للاجلاف ، ورميت بالبدع ، واتهمت بالطمع ، واقامني القضاة والامراء امينا ، ودخلت في الوصايا ، وجعلت وكيلا ، وامتحنت بالطرارين (20) ، ورايت دول العبارين ؛ اتبعني الارذلون ، وعاذدني الحاسدون ، ودخلت حمامات طبرية ، والقلاع الفارسية ، ورايت يوم الفوارة (21) ، وعيد بربارة (22) ومثل هذا كثير ، ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا اننا لم نصنفه جزافاً ، ولا رتبناه مجازا ويميزه من غيره . فكم بين من قاسى هذه الاسباب وبين من صنف كتابه في الرفاهية ، ووضعه على السماع . ولقد ذهب لي في هذه الاسفار فوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علي من التقصير في امور الشريعة ، ولم تبق رخصة (23) مذهب الا وقد استعملتها : قد مسحت على القدمين ، وصليت بمدهمتان (24) ، ونفرت قبل الزوال ، وصليت الفريضة على الدواب مع نجاسة فاحشة على الثياب ، وتركت التسبيح في الركوع

والسجود، وسجود السهو قبل التسليم، وجمعت بين الصلوات، وقصرت في سفر الطاعات، غير اني لم اخرج عن قول الفقهاء الائمة، ولم أؤخر صلاة عن وقتها بتة.

المقدسي

---

I ) هذا الباب : أى وصف الاقاليم

2 ) المذكر : هو الذى يذكر الناس فى المساجد اى يقرأ القرآن ويذكر الاحاديث التى لها علاقة بالموت والحساب الخ.

3 ) الكدية : التسول ، من كدى تكدية سأل واستعطى ، وألح فى السؤال

4 ) الكبيرة : يقال ركب وارتكب الكبيرة : أى ذنباً عظيما كالزنى والسرقة

5 ) أممت : اى صرت اماما بالمسجد

6 ) الهرائس : م هريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم

7 ) الخانقائى : هو ساكن الخانقة وهى زاوية يجتمع فيها الزهاد .

8 ) النواتى : م نوتى وهو الملاح

9 ) الصعائد : م عصيدة : دقيق يلث بالسمن ويطبخ

I0 ) الشوانى : م شينى : سفينة يسيرها أسارى بالمجاديف

II ) الكنائس : م كنيسة : شبه محامل

I2 ) السمائم : م سموم : ريح شديدة الحرارة

I3 ) الحاكة : ج حائك : وهو النساج ويعتبر الحاكة من اجهل الناس كما يعتبر معلم الصبيان من أشد الناس غفلة، والحجام من اكثرهم ثرثرة وأخفهم عقلا .

I4 ) جاور الرجل : بقى مدة بمكة او المدينة مجاورا لبيت الله او لقبر النبى صلى الله عليه وسلم

I5 ) السقاية : من سقى يسقى وكان للكعبة المكرمة طائفة من الحفظة يقومون بتزويد الحجاج بالماء وسقيهم كما يقومون بالرفادة وهى طعام الحجاج المعوزين

I6 ) السويق : دقيق الشعير يطبخ بالماء

I7 ) السيق : اسم مكان ويظهر أنه دير من أديرة الرهبان

18 ) ضيافة ابراهيم الخليل : أى أكل مما كان يفرق يوميا من طعام قرب قبر سيدنا ابراهيم الخليل بفلسطين

19 ) جميز : شجرة وعسقلان مدينة بفلسطين : وبهذا المكان كان يفرق الطعام على ابناء السبيل

20 ) الطرارون : اللصوص المحتالون

21 ) الفوارة : قرية من قرى صغد بالتركستان كانت تقام فيها حفلة دينية كل عام

22 ) بربارة : احدى قديسات النصارى وهم يحتفلون بعيدها فى 4 من شهر ديسمبر

23 ) الرخصة : ما يسوغ عمله لتسهيل القيام بالفرائض الدينية وقد ذكر المقدسى بعضها

24 ) اية من القرآن الكريم (سورة الرحمن) ويصلى بها الانسان بدلا من السور الطويلة لما يريد ألا يطيل صلاته

# 191 - في الخان

قال أبو الفرج الاصبهاني (1) : كنت انحدرت الى البصرة منذ سنيات ، فلما وردتها أصعدت من الفيض الى سكة قريش ، أطلب منزلا أسكنه، لاني كنت غريبا لا اعرف احدا من أهلها، الا من كنت أسمع بذكره . فدلني رجل على خان فصرت اليه، واستأجرت فيه بيتا، وأقمت بالبصرة أياما ثم خرجت عنها طالبا حصن مهدي، وكتبت هذه الابيات على حائط البيت الذي أسكنه (سريع)

الحمد لله على ما أرى ... من صنعتي من بين هذا الورى

أصارني الدهر الى حالة ... يعدم فيها الضيف عندي القرى

بدلت من بعد العز حاجة ... الى كلاب يلبسون الفرا

أصبح أدم السوق لي مأكلا ... وصار خبز البيت خبز الشرا

وبعد ملكي منزلا مبهجاً ... سكنت بيتا من بيوت الكرا

فكيف ألفى لاهياً ضاحكاً ... وكيف أحظى بلذيذ الكرى

سبحان من يعلم ما خلفنا ... وبين أيدينا وتحت الثري

معجم الادباء

---

1 ) أبو الفرج الاصبهانى : هو صاحب كتاب الاغانى : انظر ترجمته فى آخر الكتاب

2 ) القرى : ما يقدم للضيف من طعام من فرا. يقريه

3 ) الفرى م فروة : لباس يتخذ من جلود الحيوانات. وأسمها بالفرنسية Fourrure

4 ) الكرى : النوم

الباب السادس

—

الفصل الثاني

—

# التجارة

قال تعالى: «أحل الله البيع وحرم الربا»

ان العرب، وبالخصوص قريش، مارسوا التجارة منذ القدم، ولم تخرج من أيديهم الا بعد ان اتكلوا على ما أنهال عليهم – في صدر الاسلام – من اموال الانفال والغنائم والخراج الخ. فكانوا يؤلفون القوافل صيفا وشتاء، ويقصدون البلدان المجاورة للجزيرة. وقد كسب بعض الصحابة، ومن بينهم السيدة خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم. ثروات عظيمة بفضل التجارة، ويدل ما بذله أمثال عثمان بن عفان، وطلحة الفياض، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، رضى الله عنهم، في مصالح المسلمين على قدر ما كانوا يملكونه من ناض وعين وضياع وعروض.

ولما ازدهرت الحضارة الاسلامية كان اكبر تجار العالم من المسلمين، وفيهم العرب والفرس والهنود والروم، فانهم اكتشفوا في البحر المحيط، والبحر الهندى، وفي أواسط صحارى آسيا وافريقيا، طرقا ومسالك لم يسبقهم اليها احد. ولنذكر على سبيل المثال انه كان يسكن بسجلماسة كثير من اهل العراق وتجار البصرة والكوفة وبغداد.

فان اكثر التجار، وحتى اليهود والنصارى، كانوا يحملون من البلاد الاسلامية والفرنجية والروسية أصناف البضائع، كالعطور، والجوهرات، والرياش الثمينة، والثياب الفاخرة، والآنية، والرقيق، الى العواصم وخصوصا الى بغداد وقرطبة للارتزاق مما يتدفق من خزائن الدولة؛ ومنهم من اظهروا مواهب تجارية عظيمة وكانوا يتكلمون بعدة لغات.

ولقد عرف هؤلاء التجار اكثر انواع المبايعات وضروب الصكوك والسفاتج والمستندات لمعاملة الصيارفة والجهابذة وكانت تقام الاسواق في البوادى والمدن، وتنظم بحسب ما يباع فيها من سلع. ولقد ذكر ابن حوقل ان الاسواق كانت تقام حتى في الدور، والباعة فيها نساء.

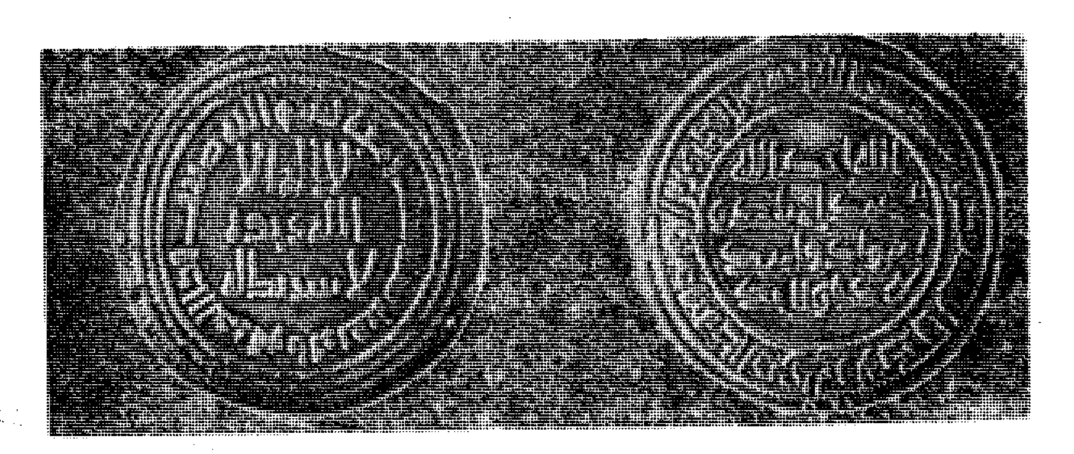
وقصارى القول فان التجار المسلمين ساهموا مساهمة قوية في نشر الدين ومبادى الحضارة، وكانوا صلة وصل بين الشرق والغرب. فانهم كانوا ممثلى الحضارة الاسلامية من الناحية المادية بما يتجلى في أفراحهم، ومساكنهم، وأزيائهم، ومواكبهم، من بدخ وأبهة ورفاهية.

## أهم المراجع في هذا الفصل


1) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجى زيدان ج 5 ص 58
2) الاسلام والحضارة العربية لكرد علي ص 151 ج 1
3) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى لماز (فصل 26)

# 192 ـ القراطيس والعملة العربية

لما ولي بنو أمية ، كان المسلمون يستعملون القراطيس (1) الرومية وكانت تنسج بمصر وطرازها (2) « باسم الاب والابن وروح القدس » فأمر عبد الملك (3) بن مروان بترجمة هذه العبارة ؛ فلما اطلع عليها اكبر امرها وقال : ما اغلظ هذافي امر الدين والاسلام: وكتب الى اخيه عبد العزيز ، عامله على مصر، بابطال هذا الطراز ، واستبدال تلك العبارة باحدى الشهادتين ( لا اله الا الله ) ففعل . ولما حملت هذه القراطيس الى بلاد الروم ، وعلم الامبراطور بها ، انكر ما فيها ، فكتب



الى عبد الملك : « ان عمل القراطيس بمصر وسائر ما طرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطرازهم ؛ فان كان من تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطأت وان كنت قد اصبت فقد اخطأوا ، فاختر احدى الحالتين » ، وبعث اليه بهدية يسترضيه بها . فرد عبد الملك هديته ، واخبر الرسول « ان لا رد عنده » فاعاد عليه اضعافها وطلب الجواب فلما لم يرد عليه جوابا غضب الامبراطور ، وكتب الى عبد الملك : « انكم احدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه ، فإن تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم

ما تكرهونه» فأستاء من ذلك عبد الملك، واستشار خالد بن يزيد بن معاوية (4) في هذا الامر، فقال له خالد: «يا امير المؤمنين، حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها، واضرب للناس سككا، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا على الطوامير (5) فقال عبد الملك: «فرجتها عني فرج الله عنك» ثم بنى دارا لضرب النقود في دمشق، وامر بسحب العملة المستعملة (6) في جميع انحاء الدولة، وضرب بدلها عملة جديدة مصنوعة من الذهب والفضة، ونقشت عليها بعض الآيات القرآنية. وكان من اثر ذلك ان انقطعت العلاقات التجارية بين الروم والعرب في ذلك الوقت.

النظم الاسلامية

1 ) القراطيس م قرطاس: وهي برد مصرية كانت تحمل فيها الآنية والثياب. والراجح أنه يقصد هنا بالقراطيس ورق كان يصنع من بردى مصر، ويكون طول الواحد 30 ذراعا وأكثر في عرض شبر

2 ) الطراز: ما كان يطرز على الثياب الخاصه بالخلفاء، وهي علامات تختص بهم في طراز أثوابهم وستور منازلهم وقراطيسهم، كأنها كتابة خطت في نسيج الثوب إلحاما وسدى بخيط من الذهب أو بما يخالف الثوب من الخيوط الملونة.

3 ) عبد الملك تقدمت ترجمته (قطعه 23)

4 ) خالد بن يزيد بن معاوية: كان من سراة بني أمية، وكان عالما عاقلا، وهو أول من اشتغل بنقل الكتب اليونانية الى العربية، توفى سنة 85 هـ 704 م

5 ) الطوامير م طومار: الصحيفة. هنا هي القراطيس

6 ) العملة المستعملة أي الرومية والفارسية ( الدنانير بيزنطينية والدراهم فارسية )

# 193- ان الله اعطانى بكل درهم عشرة

أصاب الناس قحط في خلافة ابي بكر (1) فلما اشتد بهم الامر جاؤوا الى ابى بكر، وقالوا له: يا خليفة رسول الله، ان السماء لم تمطر، والارض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك. فما نصنع؟ فقال لهم: انصرفوا واصبروا، فاني ارجو الله الا تمسوا حتى يفرج عنكم.

فلما كان في آخر النهار، ورد الخبر بان عيرا (2)، لعثمان بن عفان (3)، جاءت من الشام، فلما قربت خرج الناس يتلقونها، فاذا هي الف بعير موسقة برا وزيتا وزبيبا، فأناخت بباب عثمان. فلما جعلها في داره جاء التجار، فقال لهم: ماتريدون؟ قالوا: انك تعلم ما نريد، بعنا هذا الذي وصل اليك، فانك تعلم ضرورة (4) الناس اليه. قال: حبا وكرامة كم تربحونني على شرائي؟ قالوا: الدرهم درهمين. قال: اعطيت زيادة على هذا. قالوا: اربعة. قال: اعطيت اكثر من هذا قالوا: خمسة، قال: اعطيت اكثر من هذا. قالوا: يا ابا عمرو، مابقي في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا اليك احد. فمن الذي اعطاك. قال: ان الله اعطاني بكل درهم عشرة (5) اعندكم زيادة؟ قالوا: لا. قال: فاني اشهد الله اني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين.

غرر الخصائص

---

1 ) ابوبكر تقدمت ترجمته (قطعة 12)

2 ) العير : قافلة الحمير. وقد اطلقت هذه الكلمة على كل قافلة

3 ) عثمان بن عفان : هو ثالث الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأحد السابقين للاسلام . تزوج بنتين من بنات النبى صلى الله عليه وسلم . كان معروفا بلين الجانب والسخاء قتل بالمدينة إثر فتنة أضرم نيرانها اهل الكوفة ومصر .

4 ) الضرورة : الاحتياج

5 ) يشير هنا الى قوله تعالى : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون» (الانعام)

# 194 - الوفاء بالعقود

قال صاحب «ذيل تجارب الامم» : ان احد الوزراء، واظنه علي بن عيسى [1] والله اعلم، جمع التجار الى مجلس نظره في بعض السنين ليبيع الغلات عليهم. فتقاعدوا بالاسعار على اتفاق بينهم فبرز احدهم، فزاد زيادة توقف عنها الباقون، ظنا منهم انه لن يقنع بذمة رجل واحد دون الجماعة، لانه مال عظيم، فامضى الوزير البيع له. فلما خافوا فوت الامر زادوه عشرة آلاف دينار. فقال الوزير : قد نفذ السهم، وسبق القول، والغلات للرجل، والثمن لنا. وله الاختيار في قبول الزيادة او المشاركة فقبل الزيادة وولاهم البيع، وبرئت ذمته من الثمن. وعاد الى منزله بعشرة آلاف دينار.

ذيل تجارب الامم

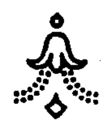
1 ) علي بن عيسى : هو ابو الحسن علي بن عيسى بن الجراح البغدادي ـ وزر للمقتدر والقاهر ـ عرف بضبط الامور وبالورع والاحسان. كان يجلس لرد المظالم من الفجر إلى العصر، واقتصر على أقل الطعام، وأخشن الملبوس، توفى سنة 334 هـ 946

# 195 ـ تاجر فارسى عظيم

قال ابن حوقل: فأما اهل سيراف (1) والسواحل، فربما غاب احدهم عامة عمره في البحر. ولقد بلغني ان رجلا من سيراف الف البحر حتى ذكر انه لم يخرج من السفينة نحو اربعين سنة؛ وكان اذا قارب البر، أخرج صاحبه، فقضى حوائجه في كل مدينة، يتحول من سفينته الى اخرى اذا انكسرت واحتيج الى اصلاحها. ولقد حظوا من ذلك بحظ جليل؛ وهم اهل صبر على الغربة، وفيهم اليسار الظاهر حيث كانوا. ولقد رايت بالبصرة منهم ابا بكر بن عمر السيرافي، وقد قدمت عليه بكتاب ممن يعز عليه، في مهم له. فأخذ الكتاب من حيث لم ينظر الي. فقراه ثم وضعه من يده، ولم يعرني لحظا؛ ثم اقبل على بعض خدمه، وذكر مراكبه وحاله؛ فوثبت غيظاً وانا لا ابصر ما بين يدي من شدة ما نالني وداخلني بإعراضه. فكأنه لحظ مكاني فقال: ما فعل الرجل؟ فقيل له: لقد خرج وهو لا يبصر ما بين يديه حنقاً وألماً فقال: علي به. فلحقني كاتبه ولاطفني، فقلت له: والله لقد رايت ملوك الدنيا، واكثرهم ممن تحت ايديهم الآلاف من الناس على اختلاف اطوارهم، وتباين احوالهم، وهم قطب الصلف (2)، فما رايت رجلا اكثر زهوا (3) وبأواً (4) واقبح صلفا منه فقال: وحق له ذلك، هذا رجل اعتل في سنة 348 علة خيف عليه منها، فأوصى، فبلغ ثلث ماله، مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له، الف الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلاته، ووكيل معلوم ما عنده وتحت يده بالحسابات الظاهرة، والقبوض المعروفة من جهاتها واوقاتها، الى متاع من جوهر وعطر في مخازنه. وقل مركب

خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك اوكري الا على حسب التفضل على المحمول بغير اجرة . . . فأفحمني قوله، وعدت اليه، فاعتذر الي مماكان . وهذا، وان زاد على الثلث، فلعه اوصى بنصف ماله، فما سمعت ان احدا من التجار ملك هذا المقدار .

المسالك والممالك



---

I ) سيراف : مرسى على الخليج الفارسى كانت مشهورة بحركتها التجارية . اندثرت ولا زالت اطلالها ترى قرب مرسى بندر طاهر

2 ) الصلف : الادعاء والاعجاب

3 ) الزهو : الكبر

4 ) يأو من بأى يبأى : تكبر تجبر

# 196 ـ أصل ثروة رجل من التجار

قال الحسن بن عبد الله من آل الجصاص (1) :كان بدء يساري انى كنت في دهليز ابي الجيش، خمارويه (2) بن احمد بن طولون بمصر، وكنت وكيله في ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون اليه؛ وما كنت افارق الدهليز لاختصاصي به. فخرجت الي قهرمانة (3) لهم في بعض الايام، ومعها عقد جوهر، فيه مائة حبة، لم ار قبله ولا بعده افخر ولا احسن منه، كل حبة منه تساوي مائة الف دينار عندي، وقالت: يحتاج ان تخرط هذه حتى تصغر فتجعل في آذان اللعب (4) وفي قلائدها. فكدت اطير واخذتها، وقلت: السمع والطاعة! وخرجت فى الحال مسروراً، وجمعت التجار، ولم ازل اشتري كل ما قدرت عليه، الى ان جمعت عدداً من الحبات اشكالا من النوع الذي طلبته وارادته. وجئت عشيا وقلت: ان خرط هذا يحتاج الى انتظار وزمان، وقد خرطنا اليوم ما قدرنا عليه وهو هذا. ودفعت اليها المجتمع؛ وقلت: الباقي يخرط في ايام. فقنعت بذلك واعجبها الحب، فخرجت وما زلت اياما في طلب الباقي حتى اجتمع، فحملته اليها. وقامت علي المائة حبة بدون المائة الف درهم؛ واخذت منهم جوهرا بمائة الف دينار، ثم لزمت دهليزهم، واخذت لي غرفة كانت فيه، فجعلتها مسكني. وكان يلحقني من هذا اكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة، وانتهيت الى ما استفاض خبره.

فوات الوفيات

---

1) آل الجصاص: عائلة اشتهرت بالغنى. والحسن بن عبد الله أول من أثرى منهم كما يظهر من القصة. وكان لابن الجصاص ببغداد أيام المقتدر بالله العباسى بيت كبير لبيع المجوهرات، وتعد ثروته بالملايين من الدنانير.

2) خمارويه: تقدمت ترجمته فى قطعة 69

3) القهرمانة: المكلفة بالحريم ــ كلمة فارسية معربة

4) اللعب: ج لعبة: ما يلعب به كالتماثيل والدمى

# 197 ـ مـا يجلب مـن المغرب والانـدلـس

قال ابن حوقل : فاما ما يجهز من المغرب الى المشرق، فالمولدات(1) الحسان ، والغلمان الروم، والعنبر ، والحرير، وأكسية الصوف الرفيعة، والجباب (2) الصوفيـة ، والانطـاع (3) ، والحـديد ، والرصـاص والخـدم المجلوبون من بلاد السودان ومن ارض الصقاليـة (4) .

وبالاندلس سلع كثيرة ترد الى مصر والمـغرب . واكثر جهـازهم الرقيق من الجواري والغلمان ، من سبي افرنجـة وجليقـة (5) ، والخـدم الصقالبة. وجميع من على وجه الارض من الصقالبة الخصيان من جلب الاندلس ، لانهم بها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود ، عند قرب البلد .

وبالاندلس غير مجلب من التجارة كالزئبق ، والحديد ، والرصاص، وضروب من الفرش وعندهم تعمل اللبـود المـشهورة فـي جميـع الارض بالجودة والصنع الحسن ؛ ولهم من الالوان والاصباغ والحشائش التي يلون بها الحرير وانواع الصوف والثياب ، ما ليس في بلد من بلدان الارض حسناً ، وكثرة فواكههم مع طيبة فيها كالمباحة لا ثمن لها

وليس بالمغرب بلاد اكبر ، ولا ناحية اوفر خيراً من سوس الاقصى، ولا ارفه واجمع لفنون المـآكل والمشارب فيها . وبها الاترج (6) والجوز

والنخـل، وقصب السكر والسمسم (7)، والعنب، وسائـر البقول التي لاتكاد تجتمع فى غيرها، وذلك لانهـا تجتمع فواكه الصرود والحرور (8).

المسالـك والممالك



1 ) المولدات : المولد هـو المحدث من كـل شيء: رجل مولد، وكـلام مولد : عربى غير محـض. والمولدات: آباؤهـن عـرب وأمهاتهن إماء غير عربيات
2 ) الجباب ج جبة : ثوب واسع يلبس فوق الثياب.

3 ) الانطاع ج نطع : بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب

4 ) الصقالبة : قوم كانت أرضهم تتاخم بـلاد الخزر ثم انتشروا منها الى بلاد سواها من أوربا. كان أكثر الصقالبة يخصون فى حدود فرنسا وألمانيـا وخصوصا ببلدة فردان

5 ) جليقة : مقاطعة من شمال الاندلس

6 ) الاترج : ما يسمى بالمغرب «الحامض»

7 ) السمسم : الجلجلان

8 ) الصرود والحرور : البرد والحرارة ـ الصوارد : الرياح البوارد الحرور : الريح الحارة

# 198 ـ اعـلان تجاري فعـال

قدم تاجر كوفي المدينة بخمر تغطي بها النساء رؤوسهن، فباعها كلها، وبقيت السود فلم تنفق (3). وكان هذا الكوفي صديقا للدارمي (1) الشاعر المغني. فشكا اليه حاله، وكان قد نسك (2) وترك الغناء والشعر. فطيب خاطره وقال له: لا تهتـم بذلك، سأنفقها لك حتى تبيعها اجمع ثم قال: (كامل)

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا صنعت براهـب متعبـد؟

قد كان شمـر للصلاة ثيابـه حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه، وتداوله مشاهير المغنين، وشاع على الالسنة في كل مكان. فقال الناس، قد فتـك الدارمي ورجع عن نسكه. فلم تبق في المدينة ظريفة الا ابتاعت خمارا اسود حتى نفـذ مـا كان مع التاجـر منها. فلما علم الدارمي بذلك رجع الى نسكه ولزم المسجد.

الاغاني

---

1 ) الدرامى : عاش فى زمن عمر بن عبـد العزيـز ، وادرك الدولـة العباسية، كان من ظـرفاء الناس ومـن أصحاب النوادر والفكاهات

2 ) نسك : تزهد وأقبـل على العبادة

3 ) نفقت البضاعة او التجارة: راجت ووقع الاقبـال عليها . وانفقها روجها

# 199 - ماكل من أفلس من الصيارفة احتلنا لجبره !

روى الاسدي (1) انه افتقر رجل من الصيارفة بإلحاح الناس في اخذ اموالهم التي كانت لديه وتعذر امواله التي كانت عند الناس. فسأل جماعة من الجيران ان يسيروا معه الى رجل من قريش، كان موسرا (2)، من اولاد اجوادهم، ليسد من خلته (3). فساروا اليه، فجلسوا فى الصحن. فخرج اليهم يخطر بقضيب في يده، حتى ثنى وسادة فجلس عليها. فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم، مع قديم نعمته، وقريب جواره. فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا ( والشعر لنصيب ) ( طويل ).

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... صنيعة تقوى او صديق توامقه (4)

بخلت، وبعض البخل حزم وقوة ... فلم يفتلذك المال الا حقائقه (5)

ثم اقبل على القوم، فقال: إنا والله ما نجمد عن الحق، ولا نتدفق في الباطل، وان لنا لحقوقا تشغل فضول اموالنا. وما كل من افلس من الصيارفة احتلنا لجبره. قوموا رحمكم الله. قال: فابتدر القوم الابواب.

الكامل للمبرد

1 ) الاسدى : ربما هو أبو بكرسالم بن عياش بن سالم الخياط الاسدى الكوفى . كان من ارباب الحديث ومن العلماء المشاهير وقد ذكره المبرد صاحب الكامل بكنيته واسمه فى مواضع أخرى. مات بالكوفة سنة 193 هـ وعمر 98 عاما

2 ) موسرا : غنيا وعكسها معسر

3 ) الخلة : الحاجة

4 ) توامقه : تحبه من ومقه يمقه، أحبه، فهو وامق؛ والمقة المحبة

5 ) يفتلذ : يقتطع ـ يقال : فلذ له من العطاء : قطع له. والحقائق ج حقيقة وهو ما يجب عليك دفعه

الباب السادس

الفصل الثالث

# الصناعة والاعمال اليدوية

قال صلى الله عليه وسلم:

«من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له»

ان فيما تقدم من مشاهد الحضارة الاسلامية لدليل كاف على ما بلغته الصناعات الفنية من الازدهار والرقي.

فمن الحق ان نقول ان العرب كانوا يشمئزون من الاشتغال بالحرف والصنائع، وان اكثر الفعلة والعملة - في عهد بني أمية - كانوا من العجم واهل الذمة. إنهم لم يقبلوا على الاعمال اليدوية الا بعد ان وضعت الحرب اوزارها، او على الاصح بعد ان خلفهم في الجيش الفرس والترك وغيرهم.

فأنهم اهتموا اذ ذلك بالحرف والصنائع، وزاحموا فيها ابناء الاجناس الاخرى، فنظمت اسواق خاصة، سمي كل منها باسم ما يصنع فيها، كما لا زال الامر الى يومنا في كبريات المدن الاسلامية مثل فاس وتونس والقاهرة ودمشق الخ. وقام المحتسبون واعوانهم بمحاربة

الغش والتدليس، وإقرار قوانين الاعمال ، فازدهرت الفنون الصناعية في الصياغة والترصيع والتكفيت والخزف والمنسوجات والبسط، وتجلت روح الابداع في صنع التماثيل والاسلحة والاباريق وادوات المنازل، من معدنية وخشبية وعاجية وزجاجية الخ... لا زالت نماذيج طريفة منها في المتاحف الشرقية والغربية.

ان اخبار ارباب الحرف والصنائع قلما توجد مفصلة في كتب الآداب والتاريخ، ولم يعتن بهم في الغالب الا من دونوا قوانين الحسبة.

هذا وحيث اننا رأينا الشيء الكثير مما ابدعه الصناع الفنانون، فاننا اكتفينا هنا بايراد قطع لها علاقة بالاعمال اليدوية والحرف البسيطة.

## بعض المراجع لهذا الفصل


1) تاريخ الحضارة الاسلامية لكستاف لبون (باب 6 فصل 7)

2) الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري (فصل 25)

3) اسبانيا فى القرن العاشر المسيحى للم. بروفنصال (فصل 5) الفرنسية

# 200 ـ حملة على الاستجداء

اتى رجل من الانصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له صلى الله عليه وسلم: اما في بيتك شيء؟ قال: بل حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال: ائتني بهما. فأخذهما، صلى الله عليه وسلم وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: انا آخذهما بدرهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: من يزيد على درهم؟ (مرتين او ثلاثا) قال رجل: انا آخذهما بدرهمين. فاعطاهما اياه. واخذ الدرهمين فاعطاهما للانصاري وقال: اشتر باحدهما طعاما فانبذه الى اهلك واشتر بالآخر قدوما فاتني به. فاتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع ولا ارينك خمسة عشر يوما. ففعل ثم جاء وقد اصاب عشرة دراهم. فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما. فقال له صلى الله عليه وسلم: هذا خير لك من ان تجيء المسألة نكتة (1) في وجهك يوم القيامة. ان المسألة لا تصلح الا لذي فقر مدقع او لذي غرم مفظع او لذي دم موجع (2).

الحديقة ج 5 ص 140

1) نكتة: النقطة والعلامة والتشويه

2) لذي دم موجع: اي الذي تحمل دية ان لم يؤدها كانت العاقبة موجعة له

# 201 - ابن ملك يتعلم الصياغـة

حكى بعض المعتنين بأخبار بني عبـاد (1) ان فخر الدولة بـن المعتمد (1) على الله، مر يوما في بعض شوارع اشبيليـة، فطمحت عينـه الى روشن (2)، فرأى فيه وجها حسنا، فتعلق قلبه بـه. فاتصل خبـره بأبيه. فسأل عن المرأة. فقيل انها ابنة رجل خباز. فأمر الوزير ان ينفذ الى ابيها ويخطبها منه. فأرسل اليه الوزير. فلما علم مـا يراد بـه امتنع من الوصول اليه وقال: هو احق بالوصـول الي في هـذه الحالة. فأعلم الوزير المعتمد بذلك. فقال: تصل اليه وتخطبها منه. فلما وصـل اليه وخطبها قال الخباز للوزير: ألـه صنعة؟ فقـال الوزير: ابن المعتمد تطلب منه صنعة، وهو سلطان الاندلس؟! فقال: امها طالق ان زوجتها الا لمن لـه صناعة يستر حالـه وحالها بها ان احتاج اليها. فأعلم الوزير المعتمد بذلك فقال: هذا رجل عاقل ثم امر بإحضار الصاغة الى القصر، وعلم فخر الدولـة الصياغـة حتى حذق فيها.

فلمـا جرى عليهم مـا جرى (3)، دخـل حوانيت الصاغة وصاغ بالاجرة، فرآه ابن اللبانة (4) وهو ينفخ على النار في بعض حوانيت مراكش فقال: (بسيط).

اذكى (5) القلوب اسى، ابكى العيون دما

خطـب وجدنـاك فيـه يشبـه العدمـا

شكاتنا فيك يـا فخـر الـهـدى عظمـت

والـرزء يعظم فيمـن قـدره عظمـا

وعـاد كونـك في دكـان قـارعـة
من بعد ما كان فى قصر حكى إرما (6)

صرفـت فـي آلـة الصـواغ أنـمـلـة (7)
لـم تـدر الا الـنـدى والسـيـف والقلمـا

يـا صائغـاً كانت العليـا تصـاغ لـه
حلـيـاً وكان الحلى عليـه منـتـظمـا

للنفخ في الصور هـول ما حكاه سـوى
هـول رأيـنـاك فيـه تـنـفـخ الفـحـمـا

عن نفح الطيب ، والمعجب للمراكشي

---

1 ) بنو عباد والمعتمد . (انظر قطعه 129)
2 ) روشن ج رواشن : نافذةمشرفة على الشارع
3 ) جرى عليهم ما جرى : اشارة الى النكبة التى نزلت بالمعتمد وفرقت شمله
4 ) ابن اللبانة : تقدمت ترجمته (قطعة 129)
5 ) أذكى : من ذكت النار تذكو. اشتد لهيبها
6 ) حكى ارم : شابه ارم ذات العماد التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم
7 ) أنملة : بتثليث الهمزة والميم : رأس الاصبع

# 202 ـ كان شاعرا فصار جزارا

كان يحيى السرقسطى (1) اديبا فرجع الى الجزارين. فأمر ابن هود (2) الحاجب أبا الفضل بن حسداي (3) ان يوبخه على ذلك فكتب اليه :

تركت الشعر من عدم الاصابة ... وملت الى التجارة والقصابة (4)

فأجابه يحيى ( وافر )

تعيب علي مألوف القصابه ... ومن لم يدر قدر الشيء عابه
ولو احكمت منها بعض شيء ... لما استبدلت منها بالحجابه
ولو تدري بها كلفي ووجدي ... علمت علام (5) احتمل الصبابه (6)
وانك لو طلعت علي يوما ... وحولي من بني كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا ... هزبر صير الاوضام (7) غابه
وكم شهدت لنا كلب وهر ... بأن المجد قد حزنا لبابه
فتكنا في بني العنزي فتكا ... أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم تقلع عن الثوري حتى ... مزجنا بالدم القاني لعابه
ومن يغتر منهم بامتناع ... فان الى صوارمنا إيابه
ويبرز واحد منا لالف ... فيغلبهم وذاك من الغرابه

نفح الطيب

---

I ) يحيى السرقسطى : يقال له أيضا السرقسطى الجزار وقد ذكر له صاحب نفح الطيب ابياتا كثيرة

2 ) ابن هود: بنو هود من ملوك الطوائف بالاندلس، وكانت عاصمتهم سرقسطة ـ حكموا من 410 الى 532 هـ 1091 ـ 1141 م وهى دولة عربية اشهر ملوكها المقتدر بالله وابنه المؤتمن

3 ) ابن حسداى : كان يهوديا فأسلم وقد استوزره المقتدر بن هود

4 ) القصابة : حرفة القصاب وهو الجزار

5 ) علام : على ماذا ؟

6 ) الصبابة : من صب اليه كلف به وأحبه

7 ) الاوضام : خشبه الجزار التى يقطع عليها اللحم ومفردها وضم : يقال تركهم لحما على وضم

# 203 - شاعر يخبز الخبز ويبيعه

قال ابو محمد عبد الله بن محمد الاكفاني : خرجت مع عمي ، ابي عبد الله الاكفاني الشاعر ، وابي الحسين بن لنكك ، وابي عبد الله ابن المفجع ، وابي الحسن السماك ، في بطالة العيد ، وانا يومئذ صبي اصحبهم ، فانتهوا الى ابي القاسم نصر بن احمد الخبز ارزي (1) ، وهو يخبز على طابقه . فجلسوا يهنونه بالعيد ، وهو يوقد السعف تحت الطابق . فزاد في الوقود ، فدخنهم ، فنهضوا حين تزايد الدخان . فقال نصر لابن لنكك : متى أراك يا ابا الحسين ؟ فقال له : اذا اتسخت ثيابي . ثم مضينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا الى دار ابي احمد المثنى فجلس ابن لنكك وقال : ان نصرا لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب ان نبدأه قبل ان يبتدأنا . فاستدعى بدواة وكتب اليه : ( وافر )

| | |
|---|---|
| لنصر في فؤادي فرط حب | انيف (2) به على كل الصحاب |
| اتيناه فبخرنا بخورا | من السعف المدخن بالتهاب |
| فقمت مبادرا وحسبت نصرا | اراد بذاك طردي او ذهابي |
| فقال : متى اراك ابا حسين | فقلت له : اذا اتسخت ثيابي |

فلما وصلت الرقعة الى نصر أملى على من كتب له بظاهرها الجواب . فلما وصل الينا قراناه فاذا هو ( وفر )

منحت ابا الحسين صميم ودي فداعبني بألفاظ عذاب
اتى وثيابه كالشيب بيض فعدن (3) له كريعان الشباب
وبغضي للمشيب اعد عندى سوادا لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لعرس فجدت له بتمسيك الثياب
قلت : متى راك ابا حسين ؟ فجاوبني اذا اتخست ثيابي
ولو كان التقزز (4) فيه خير لما كني الوصي ابا تراب (5)

معجم الادباء



I ) كل من ذكروا فى هذه القطعة شعراء كانوا يعيشون فى البصرة ، وأبو القاسم كان أمياء رقيق الشعر، سهل الالفاظ توفى سنة 427 هـ. وقيل له الخبز أرزى لانه كان يصنع الخبز بدقيق الارز.

2 ) أناف : طال وارتفع.

3 ) عدن : صرن سودا كما يكون شعر الانسان فى ريعان الشباب .

4 ) تقزز من الشئ : عافه

5 ) أبو تراب : هو الامام علي رضى الله عنه.

# 204 - تدبير رجل بخيل

قال الجاحظ : كان ابو سعيد المدائني (1) إماما في البخل عندنا بالبصرة ، ومن اعماله انه كان ينهى خادمه (2) ان تخرج الكساحة (3) من الدار ، وامرها ان تجمعها من دور السكان وتلقيها على كساحتهم . فاذا كان في الحين بعد الحين جلس ، وجاءت الخادم ومعها زبيل (4) ، فعزلت بين يديه ، من الكساحة زبيلا ، ثم فتشت واحدا واحدا . فان اصاب قطع دراهم ، او صرة فيها نفقة والدينار او قطعة حلي ، فسبيل ذلك معروف ، واما ما وجد من الصوف فكان وجهه ان يباع ، اذا اجتمع ، من اصحاب البراذع ، وكذلك قطع الاكسية ؛ وما كان من خرق الثياب فمن اصحاب الصينيات والصلاحيات (5) ، وما كان من قشور الرمان فمن الصباغين والدباغين ؛ وما كان من القوارير فمن اصحاب الزجاج ؛ وما كان من نوى التمر ، فمن اصحاب الحشوف (6) ؛ وما كان من نوى الخوخ ، فمن اصحاب الغرس ؛ وما كان من المسامير وقطع الحديد فللحدادين ؛ وما كان من القراطيس فللطراز (7) ؛ وما كان من الصحاف (8) فلرؤوس الجرار ؛ وما كان من قطع الخشب فللاكافين (9) ؛ وما كان من قطع العظام فللوقود . وما كان من قطع الخزف فللتنانير (10) الجدد ؛ وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ، ثم يحرك ، ويثار ويخلل حتى يجتمع قماشه (11) ، ثم يعزل للتنور ، وما كان عن قطع القار بيع

من القيار. فاذا بقي التراب خالصا، واراد ان يضرب منه اللبن للبيع وللحاجة اليه، لم يتكلف الماء، ولكن يأمر جميع من في الدار الا يتوضؤوا ولا يغتسلوا الا عليه؛ فاذا ابتل ضربه لبناً.

كتاب البخلاء

---

I ) ابو سعيد المدائني : وصفه الجاحظ بأنه كان احد «المعينين» ومياسيرهم والعينة نوع من المعاملات المالية وتطلق اطلاقا عاما على الربا .

2 ) خادم : يطلق على المذكر وعلى لمؤنث.

3 ) الكساحة : الكناسة من كسح البيت : كنسه

4 ) زبيل : قفة للزبل

5 ) الصلاحيات : نوع من الصينيات وتستعمل الخرق لدعكها وصقلها

6 ) الحشوف : الحشف هو أرد التمر . يقال : (أحشفا وسوء كيلة) انه يبيع لهم النوى ليخلطوه بالتمر .

7 ) القراطيس : أوراق، والطراز الذى يطرز الثياب او الجلود .

8 ) الصحف ج صحيفة : القصعة .

9 ) الاكاف : صانع الاكاف وبائعها وهى البرذعة.

I0 ) التنور : تجويفة اسطوانية من فخار تجعل فى الارض ويخبر عليها

II ) قماش كل شىء : فتاته.

# 205 ـ المحتسب وأرباب الحرف

ينبغي للمحتسب ان يتفقد امورهم وصنائعهم، ويمنعهم من مطال(1) الناس في حوائجهم، لما في ذلك من تعطيلهم للناس عن اشغالهم، واضرارهم بهم.

ويختبر على الخياط الا يخيط بفرد خيط ولا بخيط كامل، لانه لا يتمكن من شده لطوله، فتكون الخياطة به محلولة.

ويمنع القصارين (2) الا يلبسوا ثوبا يعطى لهم للقصارة. . ولا يتركون يضمون المتاع مبلولا، فقد يطرأ ما يشغل عنه فيعفن (3) لاصحابه...

ولا يباح للدباغ بيع جلد الا ان يكون قد خرج ماؤه، وتحققت النهاية في دباغه، ومتى يبس وطوى فتكسر فهو غير جيد الدباغ، ويتقدم(4) في ذلك لدلاله...

ويتقدم الى عملة المفاتيح الا يعملوا مفتاحا على آخر لامرأة ولا عبد ولا رجل غير معروف المكان معلوم العين، ولا على رسم في طين ولا عجين.

ويحد للخدمة المستأجرين بالنهار من بزوغ الشمس الى قدر نصف ما بين العصر والمغرب.

ويأمر النشارين للخشب المستأجرين للنهار ان يحدوا مناشيرهم قبل وقت الشروع في العمل، إما عند الصباح وإما عند الفراغ بالعشي، سداً للذريعة في ذلك. فان منهم من يغش بأن يجلس لذلك ويطيل المدة ليستريح، ويعمل ثلاثة ايام في شغل يومين.

ويأخذ حمالي اللحم الى الحوانيت بأن لا يحملوه الا فى اوعية يضعون اللحم فيها كل ليلة ويغسلونها من الغد. ويمنع الا يحمل احد حوتاً في يده لئلا يمس أثواب الناس.

وكذلك الخدمة بالحمامات يبيتون محاكهم التي يحكون بها ارجل الناس، فى الملح والماء كل ليلة لئلا تكتسب الروائح، ويغسلون ميزرهم كل عشية بالصابون.

ويأمر حافري القبور ان يعمقوها قدراً حسناً بحيث لا تظهر روائحهم، ولا تتمكن السباع والكلاب من نبشهم، وان يستر ما خرج لهم من عظام الموتى في التراب، ولا يتركونه ظاهرا.

عن كتاب آداب الحسبة للسقطي باختصار



---

I ) مطله وماطله : سوفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى وتأخر عن انجاز وعده .

2 ) القصار : هو الذى يغسل الثياب ــ وقصر الثوب دقه وبيضه.

3 ) عفن اللحم : تغيرت رائحته فهو عفن ومعفون ومعفّن .

4 ) تقدم : هنا نبه وأمر .

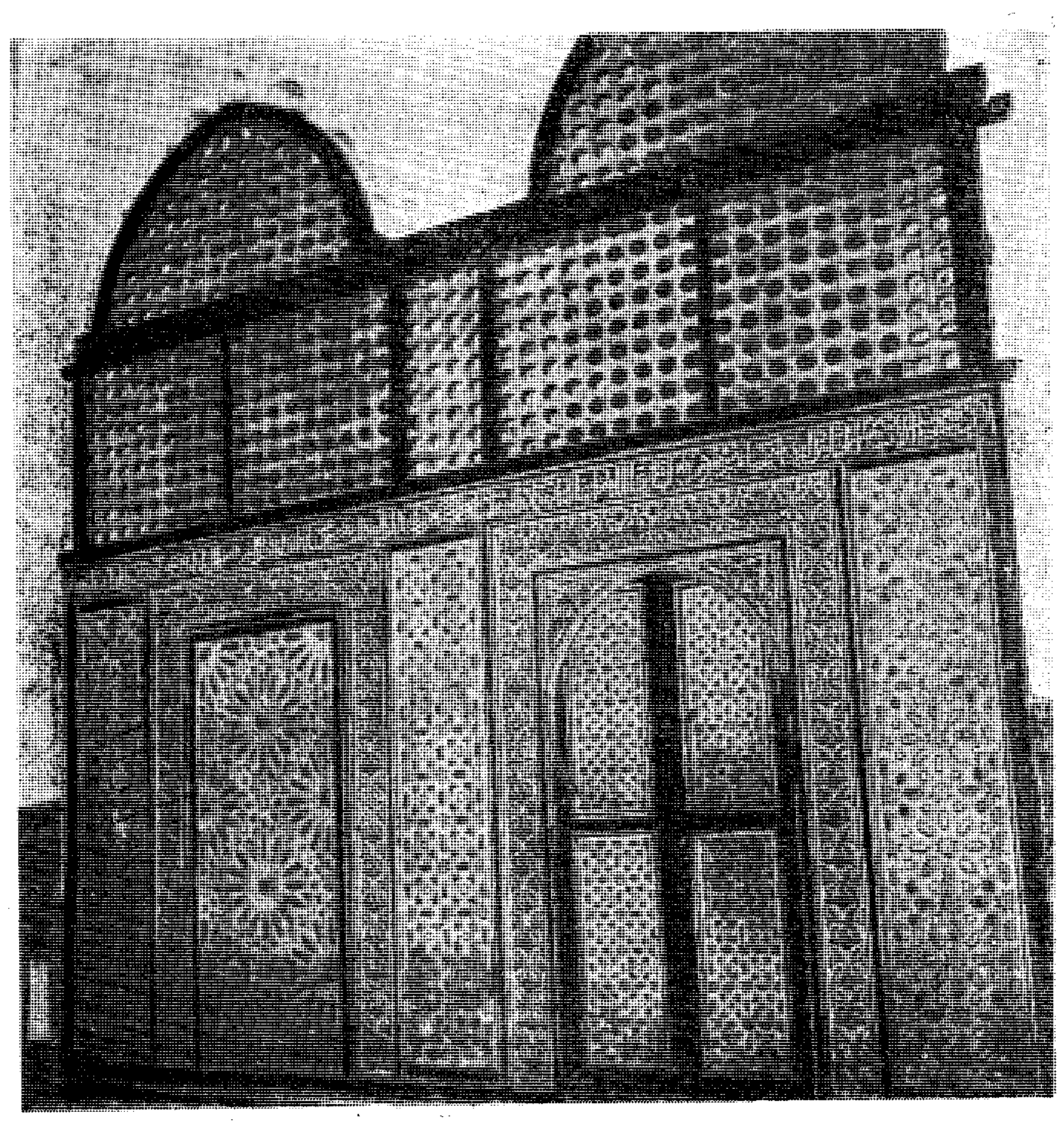
4 ) تقدم : هنا نبه وأمر .

5 ) الذريعة : الوسيلة ــ وسدا للذريعة : حسما للوسيلة التى تحمله على أن يغش .

# 206 - صناع يصفون البلاغة

تجمع قوم من أهل الصناعات، فوصفوا البلاغة من طريق صناعاتهم، فقال الجوهري: أحسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة، ووصل جوهر معانيه في سموط (1) ألفاظه، فاحتملته نحور الرواة.

وقال العطار: أطيب الكلام ماعجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه ففاح نسيم نشقه (2)، وسطعت رائحة عبقه (3) فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة (4).



باب مقصورة المجلس العلمي بفاس

وقال الصائغ: خير الكلام ما أحميته بكير الفكر، وسبكته (5) بمشاعل النظر، وخلصته من خبث الاطناب، فبرز بروز الابريز، في معنى وجيز.

وقال الصيرفي: خير الكلام ما نقدته يد البصيرة، وجلته عين الروية، ووزن بمعيار (6) الفصاحة فلا نظر يزيفه ولا سماع يبهرجه (7).

وقال الحداد: احسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة، وأشعلت عليه نار البصيرة، ثم اخرجته من فحم الافحام (8) ورققته بفطيس (9) الافهام (10).

وقال النجار: خير الكلام ما احكمت نجر معناه بقدوم التقدير، ونشرته بمنشار التدبير، فصار باباً لبيت البيان، وعارضة لسقف اللسان.

وقال النجاد (11): أحسن الكلام ما لطفت رفارف ألفاظه (12) وحسنت مطارح معانيه، فتنزهت في زرابي محاسنه عيون الناظرين، وأصاخت لنمارق بهجته آذان السامعين.

وقال الماتح (14): أبين الكلام ما علقت وذم (15) ألفاظه ببكرة معانيه، ثم أرسلته في قليب (17) الفطن فمتحت به سقاء يكشف الشبهات، واستنبطت به معنى يروي ظمأ المشكلات.

وقال الخياط: البلاغة قميص فجربانه (18) البيان، وجيبه المعرفة، وكماه الوجازة، ودخاريصه (19) الافهام، ودروزه (20) الحلاوة، ولابس جسده اللفظ، وروحه المعنى.

وقال الصباغ: أحسن الكلام ما لم تنض (21) بهجة إيجازه، ولم تكشف صبغة إعجازه، قد صقلته يد الروية من كمود (22) الاشكال، فراع كواعب (23) الآداب، وألف عذاري الالباب.

وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى (24) معانيه فخرج مفوفاً (25) منيراً وموشى محبراً.

وقال البزاز: أحسن الكلام ما صدق رقم (26) ألفاظه، وحسن نشر معانيه، فلم يستعجم عنك نشر ولم يستبهم عليك طلي.

وقال الرائض (27): خير الكلام ما لم يخرج عن حد التخليع (28) الى منزلة التقريب (29)، الا بعد الرياضة، وكان كالمهر الذي أطمع اول رياضته في تمام ثقافته (30).

وقال الجمال : البليغ من اخذ بخطام (31) كلامه فأناخه في مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عقالا ، والايجاز له مجالا ، فلم يند عن الآذان (32) ، ولم يشذ (33) عن الاذهان .

وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم، وصفاه راووق الفهم ، وضمته دنان الحكمة ، فتمشت في المفاصل عذوبته ، وفي الافكار رقته ، وفي العقول حدته .

وقال الطبيب : خير الكلام ما اذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة ، فشفى من سوء التفهم وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال (34) : كما ان الرمد قذى الابصار فكذا الشبهة قذى البصائر ، فاكحل عين اللكنة (35) بميل (36) البلاغة ، واجل رمص (37) الغفلة بمرود اليقظة .

زهر الآداب ( الجزء الاول )

---

1 ) سموط : خيط تنظم فيه الجواهر
2 ) نشق : رائحة من نشق الريح: شمها
3 ) عبق : رائحة طيبة
4 ) السراة : الاشراف والاكابر
5 ) سبك : اذاب
6 ) المعيار : ما يقاس به المكاييل والموازين. وعيار الدراهم والدنانير.
ما جعل فيها من فضة أو ذهب
7 ) يبهرجه : يحكم بانه بهرج. والبهرج هو الباطل والرذىء
8 ) الافحام : العجز عن البيان
9 ) فطيس : المطرقة
10 ) الافهام : من أفهم
11 ) النجاد : هو الذى يخيط الفرش ويزينه
12 ) رفارف : م رفرف الاطراف
13 ) اصاخ له : أصغى
14 ) الماتح : الذى يسقى الماء من البئر
15 ) وذم : الدلو
16 ) بكرة : آلة مستديرة يجعل عليها حبل البئر
17 ) قليب : بئر
18 ) جربان : الطوق
19 ) الدخاريص : فتحات الازرار
20 ) الدروز : الاطراف الرقاق
21 ) لم تنض : لم تصح
22 ) كمود : هنا وسخ وصدا

23 ) كواعب : م كاعب : الجارية الجميلــة، وكواعب الآداب : كنايــة عن الآداب الجميلة

24 ) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب

25 ) مفوفــا : الثوب المفوف : ثوب رقيق فيه خيوط بيض على الطول

26 ) رقم : مصدر رقم : طرز

27 ) الرائض : من يروض المهرأي يطوعه ويثقفه ويعلمه السير

28 ) التخليع : السير الخفيف

29 ) التقريــب : ضرب من العــدو وهو ان يرفع الجــواد يديه معــا ويضعهما معــا

30 ) الثقافة : هنا الرياضة

31 ) خطام : حبل يقاد به الجمل

32 ) نذ : نفر وذهب شاردا

33 ) شذ : خالف القياس والاصول

34 ) الكحال : من يداوى العيون

35 ) اللكنة : العى وثقل اللسان عن الافصاح

36 ) الميل : ما يجعل به الكحل فى العين وهو المرود

37 ) الرمص : وسسخ ابيض يجتمع فى مؤق العين



# 207 ـ الجزاء من جنس العمل

قيل ان بدر بن حسنويه، أحد قواد بهاء الدولة (١)، أجتاز في بعض مرتحلاته برجل متحطب قد حط حمله عن ظهره على طريق. واتفق ان بعض الفرسان اخذ منه رغيفين كانا معه، فلما حصل بدر بإزائه قال: ايها الامير اني رجل متحطب وقد كان معي رغيفان اعددتهما لاتغذى بهما فيقوياني على حمل الحطب الى البلد، فأبيعه وأعود بثمنه الى العيال. وقد اجتاز بي احد الفرسان وغصبني إياهما: فقال له: هل تعرف الرجل؟ قال: نعم، بوجهه. فجاء به الى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز عليه العسكر جميعه، وجاء صاحبه فعرفه. فأمر بدر بحطه عن فرسه، والزامه حمل الحطب على ظهره الى البلد، والدخول به الى السوق وبيعه وتسليم ثمنه الى صاحبه، جزاء على فعله. وكان الرجل موسراً، فرام ان يفدي نفسه بمال وزاد حتى بذل بوزن الحطب دراهم. فلم يقبل منه، وألزمه فعل ما عزم به عليه. فقامت الهيبة في النفوس. فلم يقدم بعدها احد من اصحابه على أذية.

ذيل تجارب الامم

---

I ) بهاء الدولة : هو بو نصر فيروز بن عضد الدولة. وقعت فى عهده فتن. وهو الذى خلع الخليفة الطائع. مات سنة 379 هـ 989 م

الباب السادس

الفصل الرابع

# الفلاحة والمعادن

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يزرع زرعا، او يغرس غرسا، فيأكل منه طير او انسان او بهيمة ، الا كان له به صدقة»

ان الله سبحانه وتعالى وعد عباده الصالحين ، الخلود في جنة « متكئين فيها على الارائك ، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلا » . ورجاء هذا الثواب لم يكن ليمنع المسلمين من اتخاذ الاجنة والمزارع ، والاعتناء بتربية الانعام والطيور للمعاش والتجارة والتفرج. فإنهم برعوا في الفلاحة براعتهم في العلوم والصناعات ؛ ولقد أحيوا الاراضي الميتة ، وتفننوا في الغرس والتركيب والتطعيم واختزان الغلل ؛ واهتم علماؤهم بترجمة كتب الفلاحة ، ودرس صفات مختلف الارضين والزبول ؛ واعتنى مهندسوهم بتسهيل وسائل الري كما اشتغل البستانيون باستنباط ضروب التلقيح ، والنباتيون بمعرفة خصائص الفواكه والحبوب والبقول.

فان الاندلسيين مثلا أظهروا في الزراعة وأساليبها مهارة خارقة حتى صارت ديارهم حدائق نضرة، تباري الادباء في وصف افيائها وفواكهها، وتحبير المناظرات بين انوارها واشجارها، وتنافس الشعراء في الاشادة بجمال أزهارها ورياحينها، وذكر معاني الوانها ورموز اشكالها.

ولقد اهتم كذلك المسلمون باستخراج المعادن والاحجار الكريمة، فانهم عرفوا فضائلها، وزينوا بما جمل منها دورهم واوانيهم وأثاثهم، واستعاروا محاسنها لتحلية نظمهم ونثرهم.

هذا وحيث اننا اوردنا فيما تقدم صورا واضحة لما اظهر المسلمون من الاعتناء بالمنتزهات ومسارح الطيور والوحوش، فاننا اقتصرنا هنا على ايراد قطع في فن التطعيم ودس الطيب الحقناها بنبذة في استخراج الفضة وبلطائف لها علاقة بهذا الموضوع.

## مراجع لهذا الفصل


1) نهاية الارب للنويرى ج 11

2) المستطرف للابشيهي ج 2 ص 130

3) كتاب حياة الحيوان للدميري

4) كتاب الحيوان للجاحظ

5) البديع في وصف الربيع لاسماعيل بن عابر الحميري

6) مفكروا الاسلام لكرادي فو ج 2 بالفرنسية.

7) حضارة العرب في القرن الرابع لماز فصل 24

8) الافصاح في فقه اللغة (الباب 16 - في الزرع والاشجار والثمار)

# 208 ـ عجائب المخلوقات

قال القزويني : ثم لينظر الانسان الى انواع المعادن المودعة تحت الجبال . فمنها ما ينطبع (1) كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد. ومنها ما لا ينطبع كالفيروزج (2) والياقوت والزبرجد . ثم الى كيفية استخراجها وتنقيتها ، واتخاذ الحلي والآلات والاواني منها . ثم الى معادن الارض كالنفط والكبريت والقير وغيرها ، واجلها الملح : فلو خلت منه بلدة لتسارع الفساد الى أهلها . ثم لينظر ان انواع النبات وأصناف الفواكه المختلفة الاشكال والالوان والطعوم والارايح ، تسقى بماء واحد . ويفضل بعضها على بعض في الاكل مع اتحاد الارض والهواء والماء ؛ فتخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ، ومن حبة سبع سنابيل في كل سنبلة مائة حبة . ثم لينظر الى ارض البوادي وتشابه اجزائها: فانها اذا نزل القطر عليها اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، ثم الى اشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها . فلم تنبت من الارض ورقة الا وفيها منفعة او منافع يقف البشر دون إدراكها . ثم لينظر الى اصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير ويسبح ويمشي ، والى أشكالها وصورها ، وأخلاقها ليرى عجائب تدهش منها العقول ، بل في البقة او النمل او العنكبوت او النحل ، فانها من ضعاف الحيوانات ، ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها لوقت الشتاء ، وحذقها في هندستها ونصبها الشبكة للصيد . وما حيوان الا وفيه من العجائب ما لا يحصى . وانما سقط التعجب منها للانس بها بكثرة المشاهدة .

كتاب عجائب المخلوقات ـ للقزويني ـ

---

1 ) ما ينطبع : اى تضرب منه السكوك والنقود

2 ) الفيروزج : صنف من الاحجار الكريمة يعرف عند الفرنج باسم Turquoise وهو حجر أخضر تشوبه زرقة له صلابة الزجاج، وأجوده الازرق الصافى

# 209 - فواكه فاس

قال ابن ابي زرع : بمدينة فاس من أصناف الازهار والفواكه ومالا يوجد في غيرها من البلاد الا مفترقة في أقاليم شتى . وتختص عدوة القرويين بكثرة الانهار والأرحاء والعيون العذبة والابار القريبة الطيبة : وبها الرمان السفري (1) الذي ليس بالمغرب مثله حلاوة ولذة وولادة، والتين الشعري (2) والسبتي الطيب الحسن، والعنب والخوخ والجوز والسفرجل والاترج وسائر الفواكه الخريفية . . وتختص عدوة الاندلس بحسن الفواكه الصيفية وطيبها، كالتفاح الطرابلسي الحلو الاصفر الذي ليس مثله في جميع المغرب لحسنه وحلاوته، ولذة مطعمه وخفته، ورقة قشره، وطيب رائحته، واعتدال خلقته، والتفاح اللوبي والطلح (3) الكلخى وأصناف الكمثري (4) والمشمش والبرقوق والتوت . . وبخارج باب بني مسافر من ابوابها، موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الاشجار مرتين في كل سنة ، فيأكل الناس التفاح والكمثري بالمدينة الصيف والشتاء، ويحصد الزرع بفحص المصارات ، التي بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن أربعين يوما . . قد شاهدت الزرع حرث بالمصارات المذكورة في خامس عشر من شهر ابريل وحصد في آخر مايو وذلك في سنة 690 ه .

الانيس المطرب

---

1 ) السفرى : نسبة الى سفر، وكان رجلا من جلساء عبد الرحمن الداخل؛ وكان قد ورد عليه الرمان المذكور فى تحف الشام فأخذه سفر وغرسه حتى علق وتم وأثمر فنسب إليه

2 ) الشعرى والسبتى : نسبة الى مكانين وكذلك اللوبى

3 ) الطلح : اسم يطلق على شجرة لها شوك. وقد يطلق على الموز وهذا هو المقصود هنا

4 ) الكمثرى : الاجاص وواحدته كمثراة

# 210 ــ العنقود المختلف الالوان

اذا اردت ان يكون العنقود مختلف الالوان ، يكون فيه حب أبيض وحب أسود وأحمر وشبه ذلك ، فخذ قضباناً من العنب مختارة مختلفة الالوان ، ووقت ذلك اذا جرى الماء فيها ، ورض (1) كل قضيب منها برفق بعود أملس على عود آخر مثله ، وتحفظ من ان يصيب ذلك عيونها ، ثم اقبل بعضها مع بعض في موضع الرض واربطها ببشاوي وشبهها في مواضع كثيرة لئلا تنحل ؛ ويطلى ذلك بأخثا (3) البقر الرطب او اليابس المعجون بالماء ؛ وقيل تظفر في الموضع المرضوض منها كما تظفر الحبال والخيوط وتربط ؛ وقيل تقطع أطراف تلك القضبان وتسوى عقدها وتجعل عيونها بعضها مع بعض وتوثق رباطا ولم يذكر انها ترض قبل ذلك . وقالوا يدخل ذلك الموضع المربوط منها من جهة الاطراف الغلاظ من القضبان في حلقة او حلقات من قرن ثور او عظم ويملأ ذلك بأخثا البقر الطري ، ويغرس في حفرة قبورية في تراب طيب ، ويغيب القرن او العظم في الارض . ومقدار اصبعين منه يكون خارجا ، ويترك من الاطراف الرقاق من تلك القضبان خارجا قدر ثلاثة أصابع من كل قضيب منها ، وليكن فيها تلقح ، ويكون منها تحت التراب في القرن او العظم اربعة عيون ، ويتعاهد بالسقي بالماء ، فانها تلتحم كلها ، فاذا مضى لها ثلاث سنين ، وقيل سنتان ، فاكشف عن ذلك العظم التراب واكسره فانك تجد تلك القضبان قد التحمت فيه ، وصارت شيئا واحدا ، فيقطع ما خرج من العظم ، ويرد عليه التراب ، ويترك منه خارج التراب ما يلقح فيه ، ثم يتعاهد بالسقي والتدبير حتى يلقح ؛ فان خرج منه قضيب واحد فاقطع سائره . فان العنب يكون ملونا بحسب تلك القضبان .

كتاب الفلاحة لابي زكريا
يحيى بن محمد بن احمد بن العوام الاشبيلي

---

1 ) رض الشيء : دقه وجرشه
2 ) اخثا البقر : روثه

## 211 - دس الطيب والحلاوة في انواع الفواكه

يكون هذا الدس في النوى والبذور، وفي الفروع حين التركيب أو حين الغراسة. فأما ما يفعل حين الغراسة، فإنـه يعمد الى المسك او الكافور او القرنفل او الخزامي، او ما شئت من الطيب، وكذلك الحلاوة، ويسحق حتى يصير غبارا، ثم يلقى على اي نوع من الطيب، ثلاثة انواعه من القير (1) مذابا، وتكون الصلاية (2) قد أدفئت الى النار لئلا يجمد القير بها اذا دعك؛ فاذا صار الكل جسدا واحدا عمـل على شكل فتيلة، وعمد الى القضيب الذي يغرس، فيشق في وسطه بمنقار شقا محكما غير نافذ من الجهة الاخرى، ويفتح القضيب حتى يظهر المخ الذي فيه، ثـم يزال ذلك المخ الذي في جوف القضيب، وهو الشبيه بالصدف البالي، ويدس مكانه الفتيلة من القير المطيب، ثم يخرج المنقار ويسد ذلـك الشق، ويربط عليه بشريط او بليف من البردي، من اول الشق الى آخره، ثم يؤخذ الطين الاحمر والشعر فيطلى به، ثـم تلف عليه خرقة كتان صفيقة (3)، ويدخل القضيب في قادوس حتى يحصل الربط في وسط القادوس، ويرجم عليه بالطين الابيض الطيب حتى يمتلئ القادوس. يفعل ذلك في شهر نونبر، ثم يغرس القضيب مـكبسا (4) على صفة غراسة الكرم، يحصل القادوس في وسط الحفرة، ويبقى ذلك التكبيس على صفة مـا ذكرناه في سائر التكابيس؛ فاذا اندفع وأثمر أتى جميع ما يثمر به رائحته مثل رائحة ما وضع فيه من الطيب.

زهر البستان ونزهة الانسان للطنغري

---

1) القير والقار: مـادة سوداء تطلى بها السفن والابل المصابة بالجرب وغيرها وقيل هو الزفت

2) الصلاية: مدق الطيب

3) ثوب صفيق: كثيف نسجه

4) التكبيس في الغراسة هـو ان يغرس القضيب ثـم يثنى ما بقي خارجا منه فيغرس ما وصل منه إلى الارض ويترك الطرف الاخير خارج التراب، وقد يثنى مراراً حتى اذا أورقت أجزاؤه فصل بعضها عن بعض

# 212 ـ دس الدواء في الأثمـار

حدث أبو القاسم (1) المعاجيني الاندلسي، ان الخليفة عبد المومن (2) احتاج الى شرب دواء مسهل، وكان يكره شرب الادوية المسهلة. فتلطف له أبو مروان بن أبى العلاء بن زهر (3) في ذلك، وأتى الى كرمة في بستانه، فجعل في الماء الذى يسقيها به ماء قد أكسبه قوة أدوية مسهلة بنقعها (4) فيه او بغليانها معه. ولما تشربت الكرمـة الادوية المسهلـة التى أرادهـا، وطلع فيها العنب، ولـه تلك القـوة، أحمى (5) الخلفية ثم أتاه بعنقود منها، وأشار عليه ان يأكل منـه، وكـان حسن الاعتقاد في ابن زهـر. فلما اكل منـه، وهو ينظر اليه، قال له: يكفيك يا أمير المؤمنين؛ فانك قـد أكلت عشر حبات من العنب، وهي تخدمك عشـرة مجالس. فاستخبره عـن علة ذلك، فعرفه به. ثم قام على عدد ما ذكر له، ووجـد الراحـة، فاستحسن الخليفة منه ذلك؛ وتزايدت منزلته عنده،

عيون الانباء

---

1 ) ابو القاسم المعاجينى : لم نعثر على ترجمة هذا الرجل

2 ) الخليفة عبد المومن (انظر قطعة رقم 73)

3 ) أبو مروان بن أبى العلاء بن زهـر هو والد أبى بكر الذى تقدمت ترجمته (قطعة رقـم 128) كـان لطيف الاساوب فى معالجة الاعلاء، والاستيلاء على خواطرهم، فتنجح فيهم الادوية بأكثر سهولة، وله تآليف فى الطب منها كتاب « التذكرة »

4 ) نفع الدواء فى الماء : أقره فيه او غلاه فيه ليكسبه خصائصه

5 ) حمى المريض ما يضره او عما يضره : منعه اياه . وهنـا حمى الخليفة = أى منعه من الاكل

6 ) تخدمك عشر مجالس، اى تحملك على ان تذهب الى بيت الخلاء عشر مرات

# 213 ـ أزهار تبايع الورد

( حكاية على ألسنة الازهار )

إن صنوفاً من الرياحين، وأجناسا من أنوار البساتين، جمعها، في بعض الازمنة، خاطر ـ خطر بنفوسها للتفاوض فيه والتحاور. واجمعت على ان ما ثبت في ذلك من العهد ونفذ من الحلف، ماض على من غاب شخصه ولم يأن (2) منها وقته.

فتخيرت من البلاد أطيبها بقعة، وأخصبها نجعة (3) وأظلها شجرا، وأغضرها (4) زهرا، وأعطرها نفس ريح، وأرقها دمع ندا (5). ثم أخذت مجالسها وقام قائمها فقال:

« يا معشر الشجر وعامة الزهر، ان الله تعالى اللطيف الخبير الذى خلق المخلوقات، باين بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين منحها وأعطياتها، فجعل عبدا وملكا، وخلق قبيحا وحسنا. وان لكل منا جمالا في صورته، ورقة في محاسنه، واعتدالا في قده، وعبقا في نسيمه، ومائية في ديباجته، قد عطفت علينا الاعين، وثنت (6) الينا الانفس، وأصبت (7) بنا الاكف، وأزهت بمحضرنا المجالس، حتى سفرنا (8) بين الاحبة، ووصلنا اسباب القلوب، وتحملنا لطائف الرسائل، وحببنا اللهو .. وأخذنا جعالة (9) البشرى .. وصيغ فينا القريض (10)، وركبت على محاسننا الاعاريض (11)، فطمح بنا العجب (12) .. وحملنا تفضيل من فضلنا على ان نسينا الفكرة في أمرنا، والتمهيد لعواقبنا، والتطبيب لاخبارنا، وادعينا الفضل بأسره، والكمال باجمعه، ولم نعلم ان فينا من

له المزية علينا ، ومن هو اولى بالرئاسة منا ، ومـن يجب علينا التحـرج ومد اليد بالمبايعة ... وهو الورد الذي ، ان بذلنا الانصاف من انفسنا ، دنا له ، ودعونا له ، واعـترفنا بفضله ، وقلنا برئـاسته .. فمن لقيه منا حياه بالملك ، ووفاه حق الامامة ، ومـن لم يدرك زمن سلطانه .. اعتقد ما عقد عليه ، ولبى الى ما دعـي اليـه . فهـو الاكرم حسبا ، والاشرف زمنا ، والاتم خصالا ، والذي ، ان فقدت عينه ، لم يفقد أثره ، او غـاب شخصه لم يغب عرفه ، والطيب اليه كله محتاج ، وهو عن جميعه مستغن ، وهو احمر ، والحمرة لون الدم ، والدم صديق الروح وصيغة الحياة ، وهو كالياقوت المنضد فى اطباق الزبرجد ( 13 ) عليها فرائد ( 14 ) العسجد .

وأما الاشعار فبمحاسنه حسنت ، وباعتدال جماله وزنت ... وكان ممن حضر هذا المجلس ، وشهد هذا المشهد من مشاهير الازهار ، ورؤساء الانوار ، النرجس الاصفر ، والبنفسج والبهار والخيري النمام ، فاعترفت كلها بتفضيل الورد . وكتب بذلك كتاب وضعت شهاداتها اسفله .

شهـادة النرجس ( رمل )

شهد النرجس، والله يـــــرى     صحة النيات منها والمرض (15)
ان للورد عليه بيـــــــعة     اكدت عقدا فما ان تنتقض (16)

شهادة البنفسج ( كامل )

شـهد البنفـسج أنـــــــه     للـورد عـبد تملـــــــك
يسعى بقـلب ناصـــــــح     فـي حبه مستهـــــــلك

شهادة الخيري النمام ( ورمل )

شهد الخـيري بـرا صادقـــا     قولة أبعد عنها الـــــدرك
أن أزهار الثـرى أجمعهـــا     أعبد والورد فيها ملــــك

شهادة البهار ( كامل )

شهد البهار وذو الجلالة عالم — بصحيح ما يبـدي وما يخفيـه

أن الامارة فـي الازهار كلها — للورد لا يؤتى لـه بشبيـــه

البديع في وصف الربيع بتصرف



---

I ) أجمعت : اتفقت جميعها

2 ) يأن : أنى يأنى : دنا وقرب وحضر

3 ) نجعـة : نجع القوم الكـلا والانتجعوه: دهبـوا لطلبه فـى موضعه. وتنجع فلانا وانتجعه: أتاه طالبا معروفه. والنجيع من الطعام أو الشراب النافع

4 ) أغضرها : أكثرها طراوة ونعومـة. الغضير: الناعم من كل شيء

5 ) نـدا: أي الندى وهو ما يسقط فى الليل من بخار الماء المتكاثف

6 ) ثنت الينا الانفس : اى عطفتها علينا

7 ) أصباه : شاقه واستهواه يقال «أصبته المكارم»

8 ) سفر بين : كان سفيراً، وكثيراً ما كان الاحبة يتراسلون الازهار ويرمزون باشكالها وألوانها الى ما يشعـرون به من عواطف، وهـذا ما عنـاه الكاتب بقوله : «وتحملنا لطائت الرسائل»

9 ) جعالة البشرى : الصلة التى تعطى لمن يبشر أى يأتى بخبر سار

I0 ) القريض : الشعر. من قرض الشعر: قاله

II ) الاعاريض : م عروض : ميزان الشعر

I2 ) العجب : الكبر والاعجاب بالنفس

I3 ) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد وأشهره الاخضر

I4 ) فرائد : ج فريـد : الواحد المتفـرد الذى لا نظير لـه والعسجد الجوهر كالدر والياقوت ومعناه أيضا الذهب

I5 ) المرض : هنا عدم الاخلاص وعكس صحة النية وسلامة الطوية

I6 ) ما ان ينتقض : أى لا ينتقض : من نقض العهد . نكثه وخالفه

I7 ) برا : بر فى قوله : صدق والبر والبار : المخلص المحسن

I8 ) الدرك : اللحاق والاستدراك والرجوع فى الحكم والقول

# 214 ـ استخراج الفضة

قال ياقوت : « پنجهير مدينة بنواحي بلخ ، فيها جبل الفضة . والدراهم بها واسعة كثيرة . لا يكاد احدهم يشتري شيئا ، ولو جرزة (1) بقل بأقل من درهم صحيح . والفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة والسوق . والجبل كالغربال من كثرة الحفر . وانما يتبعون عروقا يجدونها تدلهم على الجوهر (2) وهم اذا وجدوا عرقاً حفروا أبداً (3) الى ان يصيروا الى الفضة . فيتفق ان الرجل منهم ينفق في الحفر ثلاثمائة ألف درهم زائدا او ناقصا ، فربما صادف ما يستغني به هو وعقبه ، وربما حصل له مقدار نفقته ، وربما اكدى (4) وافتقر لغلبة الماء وغير ذلك ، وربما يتبع الرجل عرقا ويتبع آخر شعبة اخرى منه بعينه ، فيأخذان جميعا في الحفر ، والعادة عندهم ان من سبق فاعترض على صاحبه فقد استحق ذلك العرق وما يفضي اليه ؛ فهم يعلمون عند هذه المسابقة عملا لا تعمله الشياطين ؛ فاذا سبق احد الرجلين ذهبت نفقة الآخر دهراً ، وان استويا اشتركا . وهم يحفرون ما حييت السرج واتقدت المصابيح ، فاذا صاروا في الحفر الى موضع لا يحيا السراج فيه لم يتقدموا ؛ ومن تقدم مات في أسرع وقت . والرجل منهم يصبح غنيا ويمسي فقيرا أو يصبح فقيرا ويمسي غنيا .

معجم البلدان

---

1 ) الجرزة : الحزمة ـ من جرز الشيء قطعه

2 ) الجوهر : هنا المعدن الاصلي

3 ) ابدا : أي بدون انقطاع

4 ) أكدى : صار فقيرا بعد غنى

# 215 ـ لطائف في الفلاحة وتربية الحيوانات

## أ - الكتابة على التفاح

قال صاحب زهر البستان : يعمد الى التفاح اذا كبر وتناهت خلقته ، قبل ان يستحيل للحمرة ، فيكتب عليه بمداد الحبر ، او بفصوص البيض او بوشق محلول ، او بقير مذاب ، ويحتفظ بما يكتب عليه ان يمحى بالورق الى ان تعتدل حمرته ، ويمسح عنه ما كتب عليه من المداد او من سائر الاشياء التي ذكرنا ؛ فان موضع الكتابة يبقى ابيض لم يحمر ولا يتغير بوجه.

## ب - فواكه ذات أشكال وصور مختلفة

وان أخذ المتفاح ، والاجاص ، والرمان ، والسفرجل ، والاترج ، وما شاكلها ، قوالب من صور شتى وادخلت في تلك القوالب ، قبل ان تعظم خلقتها ، وتركت حتى تعظم ، فان الذي يكون في القالب يكسب صورته مهما كان نوع هذه الفواكه التي ذكرنا .

زهرة البستان ونزهة الانسان

1 ) وشق : نوع من المواد الكيماوية يسمى بملح الامونياك
2 ) القير او القار : الزفت . ومحلول : مذاب

## ج - تنانير لحضانة البيض

يعمل بمصر معامل كالتنانير، ويعمل بها البيض بضعة ايام، ويوقد بنار يحاكى بها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة البيض، ويخرج فى تلك المعامل الفراريج، وهو معظم دجاجهم.

حسن المحاضرة للطرطوشي

## د - ظبـاء تحلـب

كان جعفر بن سليمان (1) أحضر على مائدته بالبصرة، يوم زاره الرشيد، ألبان الظباء وزبدها، ولبأها، فاستطاب الرشيد جميع طعومها، فسأل عن ذالك، وغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق عن الظباء، ومعها خشفانها (2) وحتى مرت في عرصة تجاه عين الرشيد. فلما رآها على تلك الحال، وهي مفرطة مخصبة استخفه الطرب حتى قال: ما هذه الالبان وهذه السمنان واللبأ والرائب، والزبد الذي بين ايدينا؟ قال: من حلب هذه الظباء اقتنيت وهي خشفان فتلاقحت.

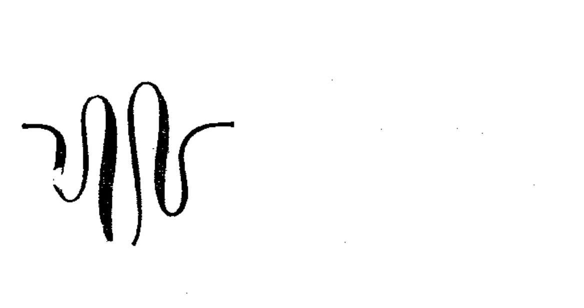
كتاب الحيوان للجاحظ

## ه - نقل القراصية على طريق الجو

حكي ان العزيز، ثاني خلفاء الفاطميين، ذكر لوزيره يعقوب بن كلس، انه ما رأى القراصية البعلبكية، وانه يحب ان يراها. وكان بدمشق حمام، من مصر، وبمصر حمام، من الشام. فكتب الوزير بطاقة

يأمر فيها عامل دمشق، أن يجمع ما بها من الحمام المصري، ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية، وترسل؛ ففعل ذلك. فلم يمض النهار الا وعنده قدر كثير من القراصية. فطلع بها الى العزيز من يومه.

صبح الاعشى للقلقشندي



---

1 ) جعفر بن سليمان : هو ابن على بن عبد الله بن العباس. كان واليا على مكة والمدينة والطائف فى خلافة المهدى . وسع مسجدى مكة والمدينة وبناهما. كانت وفاته فى خلافة هارون الرشيد

2 ) الخشفان : اولاد الظباء ومفردها خشف بالخاء مثلثة

3 ) القراصية : حب الملوك

الباب السادس

---

الفصل الخامس

# الجبايات

---

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أمرت ان آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم».

وقال: «من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه».

ان الجبايات تعد من اهم موارد بيت مال المسلمين، وهي تشتمل على الزكاة التي يؤديها المسلمون، والجزية الواجبة على اهل الذمة، والخراج المفروض على من يستغل الاراضي الحكومية - أي اراضي البلاد التي فتحت عنوة -، والعشور الذي يؤخذ من بضائع تجار الكفار القادمين من دار الحرب الى دار الاسلام اذا شرط ذلك عليهم.

وكانت الجبايات تؤخذ من الحبوب والانعام والعروض، ويخصص لكل نوع منها مستودع وحفظة.

ولقد اذى اجتهاد بعض الولاة - او استبدادهم - الى فرض ضرائب أخرى تشبه ما نسميه الان بالضرائب الجمركية الا ان العلماء يحرمون أكثرها لاعتبارها مكسا.

هذا وقد بين القرآن الكريم مصارف الزكاة، وخمس الغنائم - (تكلمنا عن الغنائم في الفصل 5 من الباب الثاني) - وسكت عن بيان مصارف الموارد الاخرى، ليكون ولاة الامور في سعة من انفاقها في سائر مصالح الدولة العامة حسبما يلائم حالهم. فنظمت دواوين لتحقيق التوازن بين الموارد والمصارف، وألفت كتب كثيرة لبيان ما حل وما حرم. فمن الولاة من وقف عند حدود الله ومنهم من تعداها، فظلم نفسه وهلك رعيته؛ جازى الله المنصفين منهم أحسن الجزاء.

## بعض المراجع المهمة لهذا الفصل


1) النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن (النظام المالي)

2) السياسة الشرعية للشيخ عبد الوهاب

3) كتاب الاموال للامام ابن عبيد القاسم بن سلام

4) كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف

# 216 - الزكـــــاة

## ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئا

حدث حجاج عن ابن جريج قال: أخبرني خلاد ان عمرو بن شعيب أخبره: « ان معاذ بن جبل لم يزل بالجند (1) اذ بعثه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الى اليمن حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم وأبوبكر، ثم قدم على عمر فرده على ما كان عليه. فبعث اليه معاذ بثلث صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر، وقال: لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردها على فقرائهم. فقال معاذ: ما بعثت لك بشيء، وأنا أجد أحدا يأخذ مني

فلما كان العام الثاني، بعث اليه شطر(2) الصدقة فتراجعا بمثل ذلك.

فلما كان العام الثالث، بعث اليه بها كلها، فراجعه عمر مثل ما راجعه قبل ذلك، فقال معاذ: « ما وجدت احدا يأخذ مني شيئا ».

كتاب الاموال

---

1) معاذ بن جبل الصحابي الانصاري الخزرجي. كان فقيها فاضلا ـ كان احسن الناس وجها وخلقا وأسمحهم كفا ـ حرج مع بعث الشام، وأبلى بلاء حسنا في أجنادين واليرموك توفي في طاعون عمواس بالشام سنة 18هـ 640

2) شطر: نصف

# 217 ـ دواوين العطايـا

قال أبو هريرة (1): قدمت من البحرين بخمسمائة ألف درهم، فأتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممسيا فقلت: يا أميـر المؤمنين أقبض هذا المال، فقال: وكم هو؟ قلت: خمسمائة ألف درهم. قال: وتـدري كم خمسمائة الف؟ قلت: نعم مائـة ألـف، ومائة ألف خمس مرات. قال: أنـت ناعس، اذهب فبت حتى تصبح.

فلما أصبحت أتيته فقلت: أقبض مني هذا المال قال: وكم هو؟ قلت: خمسمائة الف درهم. قال: امن طيب هو؟ قلت: لا أعلم الا ذلك فقال عمر رضي الله عنه: ايها الناس إنه قد جاء مال كثير، فان شئتم ان نكيل لكم كلنا، وان شئتم نعد لكم عددنا، وان شئتم ان نزن لكم وزنا. فقال رجل من القوم: يـا أميـر المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها. فاشتهى عمر ذلك، ففرض للمهاجرين خمسة آلاف، وللانصـار ثلاثـة آلالف، ولازواج النبـي صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفـا.

فلما أتى زينب ابنـة جحش (2) مالهـا، ظنت ان ذلك نصيب جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: غفر الله لامير المؤمنين لقد كان في صواحباتي من هي أقوى على قسمة هذا المال مني. فقيل لها: ان هذا المال كله لك. فأمرت به فصب، وغطته بثـوب، ثم قالـت لامرأة كانت عندها، أدخلي يدك لآل فلان، وآل فلان. فلم تـزل

تعطي لآل فلان وآل فلان، حتى قالت لها التي تدخـل يدها ، لا أراك تذكرينني ، ولي عليك حق . فقالت : لك ما تحت الثوب ، فكشفت الثوب فاذا ثم خمسة وثمانون درهما .

الحديقة لمحب الدين الخطيب

1 ) أبو هريرة : أحد صحابة النبى صلى الله عليه وسلم، وهو من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة أزد، احدى قبائل العرب الجنوبية ــ قدم إلى المدينة فى أيام غزوة خيبر عام 7 هـ فاتصل بالنبى ولزمه منذ ذلك، وتسند اليه أحاديث كثيرة ــ توفى رحمه الله عام 57 او 58هـ وله من العمر 78 عاما

2 ) زينب بنت جحش الاسدية، احدى أمهات المؤمنين، وهى ابنه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . زوجها بزيد مولاه. ولما طلقها زيد تزوجها النبى حفظا لشرفها ان يضيع بعد زواجها بمولى . وقد نزلت بهذه المناسبة آيات كثيرة (انظر كتاب حياة محمد لهيكل ص 283 وما بعدها ــ وكتاب محمد المثل الكامل لمحمد أحمد جاد المولى ص 183)

# 218 - عمر والبرود اليمانية

قيل ان عمر بن الخطاب (1)، رضي الله عنه، جاءته برود (2) من اليمن، ففرقها على المسلمين. فحصل نصيب كل رجل منهم برد واحد، وحصل لعمر مثل ذلك. قيل: ففصله عمر، ثم لبسه، وصعد المنبر. فأمر الناس بالجهاد. فقام اليه رجل من المسلمين وقال: لا سمعاً ولا طاعة. قال: لم ذلك؟ قال: لانك استأثرت (3) علينا. قال عمر: بأي شيء؟ قال: ان الابراد اليمانية، لما فرقتها علينا حصل لكل واحد من المسلمين برد منها، وكذلك حصل لك. والبرد الواحد لا يكفيك ثوبا، ونراك قد فصلته قميصاً تاما، وأنت رجل طويل، فلو لم تكن أخذت أكثر منه، لما جاءك منه قميص. فالتفت عمر الى ابنه عبد الله، وقال: يا عبد الله أجبه عن كلامه. فقام عبد الله بن عمر وقال: إن أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه، فناولته من بردي ما أتمه به. فقال الرجل: أما الان فالسمع والطاعة.

الادب السلطانية

---

1) عمر بن الخطاب ـ اتقدمت ترجمته وأما ابنه عبد الله، رضي الله عنه، فانه أسلم مع أبيه، وكان جليل القدر، مخشى الجانب موقراً كثير الورع والتقوى. مات بالمدينة سنة 73هـ 692م رحمه الله

2) البرود وأبراد: ج برد، وهو ثوب مخطط ويقال: «وقع بينهم قد برود يمانية» أى تخاصموا حتى تشاقوا ثيابهم الغالية، وهو مثال فى شدة الخصومة

3) استأثر بالشيء على الغير: استبد به وخص به نفسه ـ وآثره ايثاراً: أكرمه وفضله

# 219 ـ وصية للامام علي كرم الله وجهه لعامله ، في شأن الخراج

ومما كتب به الامام علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه، الى الاشتر النخعي (1) لما ولاه على مصر قوله : « ... وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله . فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ؛ ولا صلاح لمن سواهم الا بهم ، لان الناس كلهم عيال (2) على الخراج واهله (3) وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ؛ وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلا . فان شكوا ثقلا او علة ، او انقطاع شرب (4) او بالة (5) او إحالة (6) ارض اغتمرها (6) غرق ، أو أجحف، (7) بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به أمرهم . ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك (8) باستفاضة العدل فيهم، معتمدا (9) فضل قوتهم بما ذخرت لهم من اجمامك (10) لهم والثقة (11) منهم بما عودتهم من عدلك عليهم، في رفقك بهم . فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد ، احتملوه

طيبة أنفسهم بـه : فان العمران محتمل ما حملته ، وإنما يكون خراب الارض من إعواز (12) أهلها ، وإنما يعوز أهلها لاشراف أنفس الولاة على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء (13)، وقلة انتفاعهم بالعبر.»

نهج البلاغـة

---

I ) هالك بن الحارث الاشتر النخغى : أحـد فرسان العرب ، وكـان شاعـراً مجيدا ومن قواد الجيـوش مع الامام علـي. ولى مصر بعد انتهاء أمـر صفين، ويقال انه مات مسموما بايعاز من معاوية قبل دخوله مصر سنة 73هـ 657م

2 ) عيال : م عيل ـ وعيل الرجل : أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه، وعـال يعيل عيلا وعيلـة ، افتقر فهو عائل ـ وعال يعول : افتقر فهو معول ـ والعول : الاتكال والاعتماد

3 ) أهل الخراج : هم الذيـن يستغلـون أراضى البـلاد التى فتحها المسلمون عنوة

4 ) الشرب : اى الماء فى بلاد تسقى بالانهار

5 ) بالة : ما يبل الارض من ندى ومطر فيما يسقى بالمطر

6 ) إحالة أرض اغتمرها غرق : أى ان الارض إذا غلب عليها الماء تحول البذور إلى فساد بالتعفن فتنقص بذلك الغلات

7 ) اجحف العطش : ذهب بمادة الغذاء من الارض فلم تنبت

8 ) التبجح : السرور

9 ) معتمدا : متخذا عمادا تستند إليه عند الحاجة

I0 ) احمامك لهم : اى اراحتك لهم

II ) الثقة منصوب بالعطف على فضل

I2 ) الاعواز : الفقر والحاجة

I3 ) البقاء : أى البقاء فى الولاية

# 220 ـ فان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز (1) يأمر عماله بالرفق بأهل الذمة . ولقد كتب اليه عامله بمصر : « ... ان اهل الذمة قد أسرعوا في الاسلام ، وكسروا (2) الجزية ، حتى استلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار لاتمم بها عطاء اهل الديوان (3) » ، وطلب اليه ان يأمر بتوقيف الذميين عن انتحال الاسلام. فأجابه عمر : « .. قد وليتك جند مصر ، وأنا عارف بضعفك ، وقد امرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطا . فضع الجزية عمن اسلم ، قبح الله رأيك ! فان الله انما بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا » وكتب اليه عامله على العراق عدي بن أرطاة : «ان الناس قد كثروا في الاسلام حتى خفت ان يقل الخراج (4) » فكتب اليه : «والله لوددت ان الناس كلهم اسلموا حتى نكون انا وانت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

عن « الاسلام والحضارة العربية » لكرد علي

---

1 ) عمر بن عبد العزيز تقدمت ترجمته (قطعة 11)

2 ) كسروا الجزية : صيروها نزرة قليلة

3 ) اهل الديوان : الجنود وأصحاب العطايا

4 ) ربما المقصود هنا هو الجزية لان الخراج يجب على من يستغل أرضا حكومية ذميا كان أو مسلما

# 221 - حزم والـي مصر فـي استئداد الخراج

كان فـي مصر قـوم يدافعون (1) بالخراج، ويكسرون بعضه. فـأحضر عمر بن مهران (2) اشدهم مدافعة وإلطـاطـاً. فطالبه، فاستمهلـه مـدة فأمهله، ثـم طالبه ثـانية، فاستمهله، فأمهله مدة، ثـم فعل ذلك في الثالثة. فلمـا حل الاجل دافعه ايضا، فحلـف بأيمان مؤكدة انه لا يستأديه الا في بيت المـال بمدينـة السلام، ثم أشخصه الى الرشيد، وكتب اليه بخبره؛ فبذل لـه الرجل أداء المـال فـأبـى ان يقبضه منه، وأقـام على ألا يؤديه الا فى بيت المال. فخاف الناس جميعا منه مثل ذلك وسارعوا الى الاداء فلم ينكسر لـه ولا تخلف درهم واحد.

وحكي انه قـال لغلامه أبي درة، وقد أهدى لـه اهل مصر هدايا كثيرة: « لا تقبل منها الا ما يدخل في جراب؛ لا تقبل حيوانا ولا جارية ولا غلاما » فقبل من هدايا الناس الثياب والطيب والعين والورق (4). وجعل يعزل كل هدية على حدتها، ويكتب عليها اسم صاحبـها. وجد في استخراج مال مصر، فزجا (5) منه نجمان، وتاخر النجم الثالث وثلج (6) اصحابه. فجمعهم وقال لهم: انى قد حفظت عليكم ما أهديتمـوه الي، وامر باحضاره واحضار الجهبذ (7). فما كان من عين او ورق أجزأه عمن اهداه اليه، وما كان من ثوب او غيره باعه واخذ ثمنه حتى استغرق

الهدايا كلها ونظر فيما بقي بعد ذلك فطالب. به ثم قال: يا قوم حفظت عليكم هداياكم الى وقت حاجتكم اليها، فأدوا الينا مالنا. فأدوا اليه حتى اغلق مال (8) مصر، ولا يعلم انه أغلق مال مصر غيره.

## كتاب الوزراء والكتاب



---

I ) يدافعون بالخراج : يؤخرون أداءه

2 ) عمر بن مهران : كان فى أول الامر كاتبا في ديوان الخيزران أم الرشيد، ثم ولاه هذا الخليفة على مصر فرد المظالم، وأقام العدل ـ انصرف عن مصر سنة 167 هـ

3 ) الط الرجل : اشتد فى الخصومة والامتناع من اداء ما عليه

4 ) العين : الذهب ، والوق : الفضة

5 ) فزجا الامر : نجح وتيسر ـ زجا الخراج : سهلت جبايته والنجم : الوقت الذى يحل فيه اداء الدين ـ وما يؤدى من الدين فى وقت معين

6 ) ثلج أصحابه : فرحوا لظنهم انهم لن يطالبوا بما بقى عليهم أو تبلدوا وتغافلوا عن اداء ما عليهم

7 ) الجهبذ : هنا المكلف بقبض المال

8 ) أغلق مال مصر : اى قبض جميع ما على اهلها من خراج

# 222 ـ الغاء المجابي غير الشرعية بتونس في عهد بني حفص

لما استقل بتونس امير المؤمنين أبو فراس (1) عبد العزيز الحفصي، اخذ بالحزم فى اموره، واحدث في ايامه حسنات دائمة .. منها إحداث المارستان للضعفاء والفقراء وذوي العاهات؛ ومنها ما عينه لاهل الاندلس اعانة لهم على العدو في كل عام، وذلك الفا قفيز (2) طعاما عدا ما يتبعها من إدام (3) وغيره؛ ومنها ما ترك (4) من المجابي لوجه الله سبحانه، كمجبي سوق الرهادنة (5) وكان قدره ثلاثة آلاف دينار ذهبا في كل عام، اذ كان كل من اشترى شيئا من انواع الامتعة واللباس يغرم نصف عشر الدينار، ومجبى رحبة الماشية وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهبا، ومجبي فندق الخضرة وقدره مائتان وخمسون دينارا ذهبا، ومجبي فندق الملح وقدره الف دينار ذهبا، ومجبي قائد الاشغال (5) وقدره ثلاثة آلاف دينار ذهبا، ومجبي قائد القشاشين (5)، وقدره مائة دينار ذهبا، ومجبي سوق الصفارين وقدره خمسون دينارا ذهبا، ومجبي سوق العزافين(6) وقدره خمسون دينارا ذهبا، ومجبي الصابون وقدره ستة آلاف دينارا ذهبا، وابيح للناس عمله بعد ان كان محظورا متوعداً فاعله بالعقوبة

المالية والبدنية . . . وكان على الخمارين وظائف فتركها وقطع موضع اجتماعهم، وكذلك كان على الزفافين (7) والغانيات مغارم فتركها عنهم .

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي

---

I ) بويع ابو فراس هذا يوم الاربعاء 3 شعبان سنة 796 ومات سنة 837 ودفن قرب قبر سيدى محرز بحاضرة تونس

2 ) قفيزا : مكيال ج اقفزة وقفزان

3 ) الادام : كل موافق وملائم ومنه آدام الطعام وهو ما يجعل مع الخبز فيطيبه ج آدام وأدم

4 ) ترك : هنا تخلى ومنع العمل به

5 ) سوق الرهادنة: سوق الثياب والرهادنة : تجار يجلبون البضائع من البلدان البعيدة ، وهم يعرفون عادة عدة لغات

6 ) قائد الاشغال ربما هو المكلف بالمستأجرين والعملة، وقائد القشاشين، القشاش هو جامع القشاش أى اللقاطة

7 ) العزافون : المطربون

8 ) الزفافون : هم، فيما يظهر المغنون الذين يزفون العروس إلى بيت زوجها بالطبول والمزامير

## البـاب السـادس

## الفصـل السـادس

# المآكـل والمشـارب

قال تعالـى: ( كلوا واشربوا ولا تسرفوا )

ان العرب، وخصوصا البدو، كانوا يطعمون الخشين من الطعام - قناعة واضطرارا. فكانوا يتغذون بما تنتجه انعامهم، ويأكلون أكثر مـا يـدب ويدرج من ضباب وحيات، ويشربون الالبان ومياه العيون والغدران، ومنهم من « لم يذوقوا مذ خلقوا طعم ملة ».

ولكن لما اتصلوا بغيرهم من الاجناس، وخصوصا بالفرس، رقت طباعهم واستحلوا اطاييب العيش، فظهرت فى الدور - وحتى فى الاسواق - افانين من الاطعمة، وجلها فارسية الاصل والاسماء، والوان من الخمور والانبذة والمشروبات المثلجة، المتخذة من عصير الفواكه، واخذ الاكابر يختارون الطباخات والطهاة، ويتأنقون في إعداد المآكل وتقديمها في الاواني اللائقة والظروف المناسبة، وألفت رسائل وكتب في آداب

الاكل، وفي الاكالين والبخلء والطفيليين، وفي منافع اصناف الاطعمة او اضرارها؛ واعتنى المحتسبون بمراقبة باعة اللحوم والشواء والحلويات وسائر الاغذية، محافظة على صحة الناس اذ «رب اكلت تمنع اكلات».

## بعض المراجع لهذا الفصل


1) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري (ج 3)

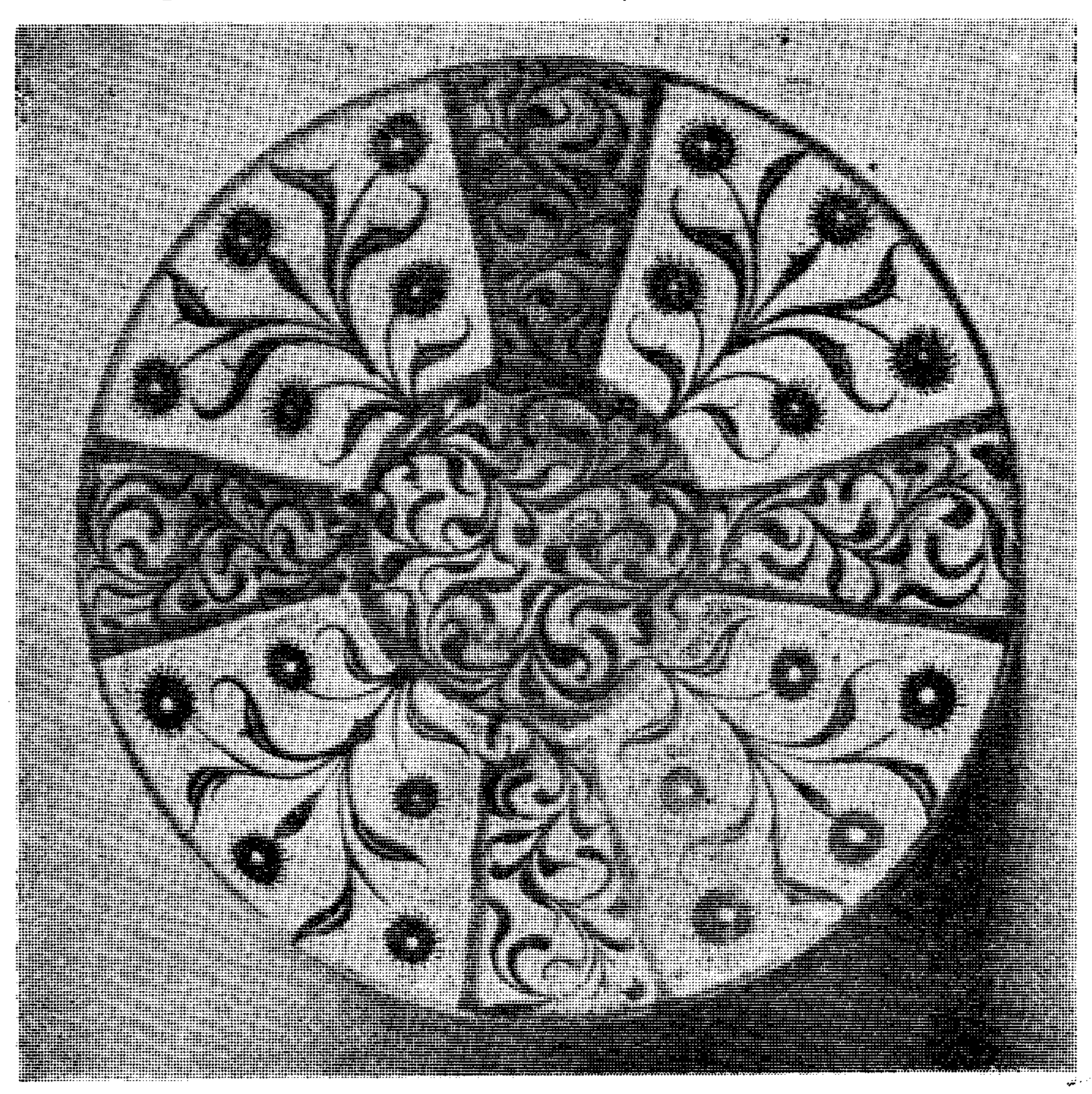
2) العقد الفريد لابن عبد ربه (ج 4)

3) المستطرف للابشيهي (ج 1 فصل 35)

4) الافصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى (الباب الثامن - في الاطعمة والاشربة)

# 223 ـ اسـراف ابراهيم بن المهدي

حدث ابراهيم بن المهدي (1) قال: استزرت الرشيد بالرقـة (2) فزارني. وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد. فلما وضعت البوارد (3) راى، فيما قرب اليه منها، جام قريض سمك، فاستصغر القطع وقال: لـم



صحن إيرانـي

صغر طباخك تقطيع السمك؟ فقلت: ياامير المؤمنين، هذه السنة السمك: فقال: يشبه ان يكون في هذا الجام مائة لسان. فقال مراقب خادمي: ياامير المؤمنين، فيه اكثر من مائة وخمسين. فاستحلفه عن مبلغ ثمن

السمك. فأخبره أنه قام بأكثر من الف درهم. فرفع الرشيد يده، وحلف الا يطعم شيئا دون ان يحضره مراقب الف درهم. فلما حضر المال امر ان يتصدق به، وقال لي: ارجو ان يكون كفارة (4) لسرفك.. ثم ناول الجام بعض خدمه، وقال: اول سائل تراه فادفعه اليه. قال ابراهيم: وكان شراء الجام بمائتين وسبعين دينارا - فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه. وفطن الرشيد، وقال له: يا غلام اذا دفعته الى السائل فقل له: يقول لك امير المؤمنين احذر ان تبيعه بأقل من مائتي دينار فإنه خير منها. ففعل الخادم ذلك. فوالله ما امكن لخادمي ان يخلصه من السائل الا بمائتي دينار.

مروج الذهب

(٥)

1 ) إبراهيم بن المهدى : هو أخو هارون الرشيد ( انظر القطعتين 164 - 165 )

2 ) الرقة : مدينة على الفرات قرب الرصافة

3 ) البوارد: الاطعمة التى تقدم باردة ومنها ما لا يطبخ كالبقول وغيرها

4 ) الكفارة : أعمال البر من صدقة وغيرها يقوم بها الانسان ليستغفر من ذنوبه

# 224 - ذاك قوتي وهذه مروءتي

لما خرج عبد الله بن طاهر (1) من بغداد الى خراسان ، قال لابنه محمد: ان عاشرت احدا بمدينة السلام فعليك بأحمد بن يوسف الكاتب (2) ، فان له مروءة. فما عرج محمد، حين انصرف من توديع أبيه ، على شيء حتى هجم على احمد بن يوسف في داره. فأطال عنده، ففطن له احمد فقال: يا جارية غدينا. فأحضرت طبقا وارغفة نقية، وقدمت الوانا يسيرة وحلاوة. واعقب ذلك بأنواع من الاشربة في زجاج فاخر وآلة حسنة، وقال: يتناول الامير من ايها شاء. ثم قال له: إن راى الامير ان يشرف عبده ويجيئه في غد فأنعم بذلك. فنهض وهو متعجب من وصف ابيه له؛ واراد فضيحته ، فلم يترك قائدا جليلا، ولا رجلا مذكورا من اصحابه ، الا عرفهم انه في دعوة احمد بن يوسف ، وامرهم بالغدو معه . فلما اصبحوا قصدوا دار احمد، وقد اخذ اهبته واظهر مروءته . فراى محمد من النضائد (3) والفرش والستور ، والغلمان ، والوصائف ، ما ادهشه . وكان قد نصب ثلاثمائة مائدة، وقد حفت بثلاثمائة وصيفة، ونقل الى كل مائدة ثلاثمائة لون في صحاف من الذهب والفضة ومثارد الصين. فلما رفعت الموائد قال ابن طاهر: هل اكل من بالباب؟ فنظروا فاذا جميع من بالباب نصبت لهم الموائد، فأكلوا . فقال: شتان ما بين يوميك ياابا الحسن. فقال: ايها الامير: ذاك قوتي وهذه مروءتي.

معجم الادباء

---

1 ) عبد الله بن طاهر بن الحسين : كان أبوه طاهر من قادة المأمون أثناء محاربته لاخيه الامين وهو الذى قتل الامين بعد الاستيلاء على بغداد — وكان عبد الله سيدا نبيلا على الهمة ولاه المأمون مناصب عاليه — وقد كتب لابنه محمد رسالة يوصيه فيها ، تعتبر من أجود ما كتب فى هذا الموضوع (انظر مجانى الادب ج 4 ص 98)

2 ) أحمد بن يوسف: ابو جعفر الكاتب الكوفى — كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون — كان شاعراً أديبا — مات سنة 214 هـ

3 ) نضائد، من نضد المتاع : ضم بعضه الى بعض متسقا او مركوما — والنضائد ج نضيدة : ما حشى من المتاع كالوسائد وغيرها

* ) لعل هذه الاعداد مبالغ فيها ، وانما يريدون بها الاشعار بكثرة الانواع المطعومة

# 225 - وظائف دار الحرم بقصر خمارويه

لما شيد خمارويه (1) قصره بنى دار الحرم (2)، ونقل اليها امهات اولاد ابيه مع اولادهن، وجعل معهن المعزولات من امهات اولاده، وافرد لكل واحد حجرة واسعة.. واقام لكل حجرة من الانزال (3) والوظائف (4) ما كان يفضل عن اهلها منه شيء كثير. فكان الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل واحد منهم، مع كثرتهم بعد التوسيع في قوته، الزلة (5) الكبيرة، والتي فيها العدة من الدجاج، فمنها ما قلع فخذها، ومنها ما قد تشعث صدرها، ومن الفراخ مثل ذلك، مع القطع الكبار من الجدي ولحوم الضأن، والعدة من الوان عديدة، والقطع الصالحة من الفالوذج (6)، والكثير من اللوزينج (6) والقطائف (6) والهرائس (6) من العصيدة (6) التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمأمونية، واشباه ذلك من الارغفة الكبار. واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به، فكان الناس يتوافونهم لذلك، واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين، ومنها ما يباع بدرهم. فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات، وكانت موجودة في كل وقت بحيث الرجل اذا طرقه ضيف، خرج من فوره الى باب دار الحرم، فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله.

خطط المقريزي

---

1 ) خمارويه : تقدمت ترجمته (قطعة 69)

2 ) الحرم ج حرمة : وحرمة الرجل حرمه وأهله

3 ) الانزال : ج نزل : العطاء والفضل. رجل ذو نزل : كثير الفضل والبركة

4 ) الوظيفة ج وظائف : هنا ما يخصص لكل واحدة من الطعام

5 ) الزلة : اسم لما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك من الطعام، وتدخره لتأكله أو تذهب به إلى أهلك

6 ) الفالوذج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ـ ج فواليذ وهي من الدخيل، واللوزينج نوع من الحلواء شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز .. والقطائف طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء ـ والهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم، والعصيدة: دقيق يلث بالسمن ويطبخ

# 226 ـ هـذا حـق الصبوح

كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام يعيش في عهد المقتدر (1) بالله العباسي ، وكان في غاية الستر والمروءة. ذكر ابو عبد الرحمن العتبي (2) قال: دخلت عليه ، في بعض الايام ، وهو جالس في داره ، وقد رفع مجلسه على بركة ، وفي صدره صفة ، وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة القماري واشباهها. فقلت له: ياابا جعفر ، انت والله جالس في الجنة. قال: فليس ينبغي لك ان تخرج من الجنة حتى تصطبح (3) فيها. فما جلست واستمر بي المجلس حتى اتوه بمائدة جزع (4) لم ار احسن منها ، وفي وسطها جام جزع ملونة ، قد لوي على جنباتها الذهب الاحمر ، وهي مملوءة من ماء ورد ، وقد جعل سافا (5) على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج ، وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ (6) وانواع الملح ، ثم أتينا بشنبوشق (7) بلور وبعده جامات اللوزينج ؛ ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة ، فقدم بين ايدينا إجانة (8) صيني بيضاء قد كرمت بالبنفسج والخيري ، واخرى مثلها قد عبئ فيها تفاح الشام ، قدرنا مقدار ما حضر فيها الف حبة. فما رايت طعاما انظف منه ، ولا ريحا اظرف منه فقال لي: هذا حق الصبوح ، فما امسى الى الساعة طيب ذلك اليوم. مروج الذهب

---

1 ) المقتدر : تقدمت ترجمته (قطعة رقم 32)

2 ) ابو عبد الرحمن السبتي القرشي الاموي الشاعر البصري ، وكان أديبا فاضلا يروي الاخبار وأيام العرب ـ له من التصانيف كتاب الخيل ، وكتاب اشعار الاعاريب ، وغير ذلك . قدم بغداد وحدث فيها ـ مات سنة 228 م 844 م

3 ) اصطبح : شرب الخمر في الصباح ، ولهذا سمي بالصبوح ـ استعمل هنا على المجاز لانه لم يشرب خمرة

4 ) الجزع : ما تجزع لونه إلى بياض وسواد

5 ) الساف : الصف ج آسف وسافات

6 ) الاصباغ : هنا التوابل والمرق الملون بالابازير

7 ) شنبوشق : زجاجة للمشروبات ـ وتطلق في الجزائر لفظة «شبشق» على الكوب وكثيراً ما يكون من حديد

8 ) الاجانة : صحفة كبيرة ـ وقد تستعمل للغسل

# 227 ـ المقامة المجاعية *

حدثنا عيسى بن هشام (1) قال : « كنت ببغداد ، عام مجاعة ، فملت الى جماعة ، قد ضمهم سمط الثريا (2) اطلب منهم شيئا . وفيهم فتى ذولثة (3) بلسانه ، وفلج بأسنانه . فقال : ما خطبك ؟ قلت : حالان لا يفلح صاحبهما ، فقير كده الجوع ، وغريب لا يمكنه الرجوع ، فقال الغلام : اي الثلمتين (4) تقدم سدها ؟ قلت : الجوع قد بلغ مني مبلغا ! قال : فما تقول في رغيف على خوان نظيف : وبقل قطيف (5) . الى خل ثقيف (6) ولون (7) لطيف ، الى خردل حريف (8) ، وشواء صفيف (9) . الى ملح خفيف يقدمه اليك الان من لا يمطلك (10) بوعد ولا يعذبك بصبر ، ثم يعلك (11) بعد ذلك باقداح ذهبية من راح (12) عنبية ؟ أذاك أحب اليك ام أوساط محشوة (13) واكواب مملوة ، وانقال (14) معددة ، وفرش منضدة ، ومطرب مجيد ، له من الغزال ، عين وجيد ؟ فان لم ترد هذا ولا ذلك ، فما قولك في لحم طرى ، وسمك نهري وباذجان مقلي ، وراح قطربلي ، وتفاح جني (15) ومضجع وطي على مكان علي ، حذاء نهر جرار ، وحوض ثرثار ، وجنة ذات أنهار ؟ قال عيسى بن هشام . فقلت : أنا عبد الثلاثة ، فقال الغلام : وأنا خادمها لو كانت . فقلت : لاحياك الله ،

احييت شهوات قد كان اليأس اماتها، ثم قبضت لهاتها. فمن اي الخرابات انت؟ فقال:

انا من ذوي الاسكندرية من نبعة فيهم زكية
سخف الزمان واهله فركبت من سخفي مطيه

كتاب المقامات لبديع الزمان

---

*) هذه قصة خيالية وضعها بديع الزمان ولقد اثبتناها هنا لانها تصف مظهرا من مظاهر المجتمع - ولقد أجاد بديع الزمان وصف ما يباع في الاسواق من أطعمة في عدة مقامات وبالخصوص لمقامات البغدادية

1) عيسى بن هشام، شخص خيالى نسب اليه بديع الزمان قصص مقاماته، وجعل بطلها ابا الفتح الاسكندرى (انظر مقال الدكتور زكى مبارك عن فن المقامات فى كتابه النثر الفنى)

2) السمط: السلك ما دام اللؤلؤ منظوما فيه. والثريا: مجموع كواكب سبعة يشبهون بها الجماعات المتآلفة

3) لثة: ذو اللثه: هو الذى يبدل بعض الحروف ببعض كأن ينطق بالجيم زايا او الشين سينا

4) الثلمة: الشقة فى الحائط أو غيره - وقد استعملت هذه اللفظة مجازا لان الجوع والاغتراب مما يحدث النقص والخلال بالانسان

5) قطيف: مقطوف اى ورق بلا جذور

6) ثقيف: حامض جدا

7) لون: الدقل وهو نوع من النخل واحدته لينة والمقصود هنا هو نبيذ تمرها

8) حريف: له لذعة فى اللسان ويجدد الشهوة إلى الاكل

9) صفيف: ما صف على النار ليشوى

10) لا يمطلك: اى يسرع لك بالانجاز

11) يعلك: هنا يسقيك المرة بعد الاخرى

12) الراح: الخمر

13) اوساط محشوة: ربما يقصد بها دجاج او أفراخ محشوة باللوز والتوابل إلخ

14) انقال: ما يؤكل اثناء شرب الخمر ينتقل منها إليه ومنه إليها

15) جنى: اقتطف منذ زمن قريب

# 228 ـ آكل الـرؤوس

قال الجاحظ : كان ابو عبـد الرحمن الثوري(1) يعجب بالرؤوس، ويحمدها ، ويصفهـا ، ولا يأكل اللحم الا يوم الاضحى(2) ، او من بقية أضحيته ، أو يكون في عرس او دعوة او سفرة . وكـان سمي الرأس « عرسا » لما تجمع فيه من الالوان الطيبة . وكان يسميه مرة «الجامع» ومرة « الكامل » . وكان يقول : الرأس شيءٌ واحد ، وهو ذو ألوان عجيبة ، وطعوم مختلفة . وكل قدر ، وكل شواء فانما هو شيءٌ واحـد؛ والرأس فيه الدماغ وطعمه على حدة ، وفيه العينان وطعمهما شيءٌ على حدة ، وفيه الشحمة التي بين أصل الاذن ومؤخـر العين وطعمها على حدة ؛ على ان هذه الشحمة خاصة اطيب من المخ ، وأنعم مـن الزبـد وفي الرأس اللسان وطعمه شيء على حدة، وفيه لحم الخـدين وطعمه على حدة ، وفيه الخيشوم (3) والغضروف (4) الذي في الخيشوم وطعمهما شيءٌ على حدة ، حتى يعد اسقاطه الباقية ويقول : الرأس سيد البـدن ، وفيه الدماغ وهو معدن العقل ، ومنه يتفرق العصب الـذي فيه الحس ، وبـه قـوام البدن . وإنما القلب باب العقل ، كما أن النفس هي المدركة ، والعين هي باب الالوان ، والنفس هي السامعة الذائقـة . وانمـا الاذن والانف بـابـان ، ولولا ان العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تصيبه . وفي الرأس الحواس الخمس وكان ينشد قول الشاعر :

إذا ضـربـوا رأسي ، وفي الراس اكثري

وغـودر عـنـد الملـتقـي ، ثـم سـائـري

وكان يقول : الناس لم يقولوا : هذا راس الامـر ، وفـلان راس الكـتيبة ، وهو راس القـوم ، وهـم رؤوس الناس وخراطيمهم وانـوفهم ، واشتقوا من الراس الرئـاسة ، والرئيس ، وقد راس الـقـوم فلان ، الا والراس هو المثـل وهو المقدم . . »

البخلاء وعيون الاخبار



---

1 ) أبو عبد الرحمن الثورى : يظهر من كتاب البخـلاء انه كان سريا من سراة البصرة، يصطنع التجارة وأنه كان متأدبا يروى الآثار المختلفة

2 ) يوم الاضحى : يوم النحر ـ الاضحية الضحية

3 ) الخيشوم أقصى الانف والحياشم أيضا : عروق فى بطن الانف

4 ) الغضروف : ج غضاريف : عظام الانف اللينة

# 229 ـ دواء رخيص وغذاء

قال بعض المسجديين (1) لاخوانه : يا قوم، لا تحقروا صغار الامور، فان اول كل كبير صغير . ثم قال : اشتكيت اياما صدري من سعال كان اصابني . فأمرني قوم بالفانيذ (2) السكري . واشار علي آخرون بالخزيرة (3) تتخذ من النشاشتج (4) والسكر وذهن اللوز واشباه ذلك . فاستثقلت المؤونة ، وكرهت الكلفة ، ورجوت العافية . فبينما انا ادافع الايام، اذ قال لي بعض الموفقين : ( عليك بماء النخالة فاحسه حاراً ) فحسوته ، فاذا هو طيب جدا ، واذا هو يعصم فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم الى الظهر . ثم ما فرغت من غدائي ، وغسل يدي ، حتى قرب العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء (5) وعرفت قصدي (6) . فقلت للعجوز : (لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة. فان ماءها جلاء للصدر، وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت ، فتبيعينها اذا اجتمعت بمثل الثمن الاول، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين . قالت : ارجو ان يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك ، وصلاح معاشك. وما اشك ان تلك المشورة كانت من التوفيق ، قال القوم : صدقت ، مثل هذا لا يكتسب بالراي ولا يكون إلا سماويا ) .

كتاب البخلاء

1 ) المسجديون : قوم كانوا يجتمعون بمسجد البصرة للمذاكرة فى الشؤون العلمية والاقتصادية ولقد روى عنهم الجاحظ نوادر كثيرة فى البخل

2 ) الفانيذ : لا زالت هذه اللفظة مستعملة بالمغرب بمعناها الذى فى القطعة

3 ) الخزيرة : فى الاصل طعام مصنوع بالدقيق واللحم المدقوق

4 ) النشاستج : هو النشا

5 ) طويت العشاء : لى لم أتناوله

6 ) عرفت قصدى : عرفت منفعى وربحى

## 230 - اذاً يعود العيش الظريف مع الجور سما !

يقال انه انقطع رجل عن قافلة الحاج، وغلط الطريق، ووقع في الرمل، فجعل يسير الى ان رأى خيمة فيها امرأة عجوز، وعلى باب الخيمة كلب نائم. فسلم الحاجي على العجوز، وطلب منها طعاما. فقالت العجوز: امض الى ذلك الوادي، واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوي لك منها، وأطعمك. فقال الرجل: انا لا اجسر على اصطياد الحيات؛ فقالت العجوز: انا اصطاد معك، فلا تخف. فمضينا وتبعها الكلب، فأخذوا من الحيات على قدر حاجاتهم؛ فأتت العجوز واخذت تشوي الحيات فلم ير الحاجي بداً من الاكل، وخاف ان يموت من الجوع والهزال، ثم انه عطش. فطلب منها الماء، فقالت: دونك العين فاشرب، فمضى الى العين، فوجد ماء مرا مالحا، ولم يجد من شربه بدا، فشرب ورجع الى العجوز، وقال: أعجب منك ايتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان، واغتذائك بهذا الطعام. فقالت العجوز: كيف تكون بلادكم؟ قال: في بلادنا الدور الرحبة والفواكه اليانعة، والمياه العذبة، والاطعمة الطيبة، واللحوم السمينة والنعم الكثيرة، والعيون الغزيرة. فقالت العجوز، وقد سمعت هذا كله: فقل هل تكونون تحت يدي سلطان يجور عليكم، واذا كان لكم ذنب اخذ اموالكم، واستأصل احوالكم، واخرجكم من بيوتكم واملاككم؟فقال: قد يكون ذلك. فقالت: اذاً يعود الطعام اللطيف، والعيش الظريف، والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سماً ناقعاً (4)، وتعود حياتنامع الامن ترياقاً (5) نافعاً.

من كتاب «التبر المسبوك في نصائح الملوك» للامام الغزالي

---

1) الفواكه اليانعة: الناضجة الطيبة – وينع الثمر يينع: أدرك وطاب وحان قطافه

2) استأصل اموالكم: استصفاها وأخذها كلها

3) الجور: الظلم

4) سم ناقع – قاتل من نقع الجيب: شقه – ونقع الرجل: قتله

5) الترياق: هو ما يؤكل او يشرب لمقاومة سريان السم في الجسم وتأثيره فيه

الباب السادس

الفصل السابع

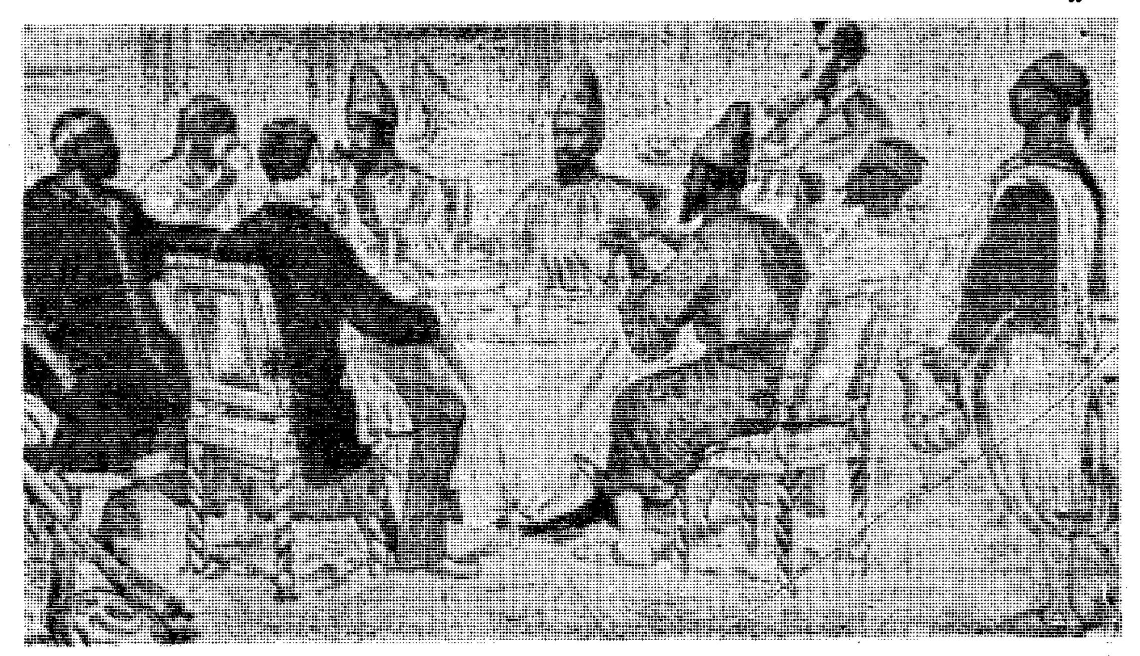
# الملابس

قال تعالى : « وثيابك فطهر »

كان المسلمون في اول تاريخهم يميلون الى التقشف والخشونة في المأكل والملبس، ولكن لم يلبثوا - كما قدمنا - ان سكنوا بلدانا ذات شهرة واسعة في انتاج المنسوجات النفيسة ، وخالطوا أهل الترف من الاعاجم فاضطروا ، بطبيعة المدنية، الى ابدال ملابسهم الصوفية البسيطة بأخرى ناعمة متخذة من اصناف الحرير والكتان والقطن والوبر وانواع السمور ، فشجعوا صناعة النسج والوشي والصباغة تشجيعا خاصا ؛ واتخذ الخلفاء والملوك ديارا للطراز ، وخزانات للكسوة، وأعدوا حللا ثمينة لاكرام ذوي الجاه ورجال العلم ، وتزيا الولاة والقضاة والكتاب بأزياء رسمية خاصة ، وكثرت ضروب الاقبية والدراريع والطيالسة والشاشيات ، والعمائم والابراد والغلائل والمآزر والسراويلات الخ .

ولم يكتف المسلمون بهذا ، بل كسوا دوابهم المنسوجات المزركشة المرصعة بالجواهر .

اما النساء - الحرائر منهن والجواري - فلا شك انهن كن يتابرين في التجمل بالغلائل والعصابات والخمر والتكك القيمة المرقومة بالذهب ولكننا نجهل الكثير عن ازياء المحصنات لان المؤرخين لم يطيلوا الكلام عن ألبستهن اللهم الا ما كان من اصحاب قصص «الف ليلة وليلة» التي تعد بحق مرآة صادقة لما بلغته الامة الاسلامية من تأنق ورفاهية.



سفارة مغربية في باريس فى القرن التاسع عشر

## بعض المراجع لهذا الفصل


1 ) فنون الاسلام للدكتور زكي محمد حسن ( ص 345 )

2 ) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ( ج 5 ص 106 )

3 ) تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لماز ( فصل 25 )

4 ) دوزى : قاموس الثياب « بالفرنسية »

5 ) المرأة العربية لعبد الله عفيفي ج 1 ص 110 ( ثياب النساء في العصر الجاهلي )

6 ) الافصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى : الباب السابع في الملابس والجلود.

# 231 - لو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لاعطيناه له

دخل الشاعر ابو القاسم الزعفراني (1) يوما على الصاحب بن عباد (2). وزير فخر الدولة البويهي ' «وأنشده أبياتا نونية» من جملتها :

| | |
|---|---|
| أيا من عطاياه تهدي النغى | الى راحتي(3) من نأى(4) اودنا |
| كسوت المقيمين والزائرين | كسا لم نخل مثلها ممكنا |
| وحاشية الدار يمشون في | صنوف من الخز الا أنا |

فقال الصاحب: قرأت في اخبار معن بن زائدة الشيباني (5) ان رجلا قال له : احملني ايها الامير. فأمر له بناقة ' وفرس ، وبغل وحمار وجارية (6) . ثم قال : « لو علمت ان الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه » وقد امرت لك ' من الخز ، بجبة ' وقميص ، وعمامة ، ودراعة ' وسراويل ' ومنديل ، ومطرف (7) ' ورداء ، وكساء ، وجورب ، وكيس . ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لاعطيناكه .

فوات الوفيات

---

1 ) ابو القاسم: كان من ندماء الصاحب بن عباد، ويقول عنه مؤلف يتيمة الدهر: «كان من حسن ديباجة شعره ممتع المؤانسة، حلو المذاكرة، عارفا بشروط المعاقرة، حاذقا بلعب الشطرنج»

2 ) الصاحب بن عباد ــ « كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر فى فضائله ومكارمه، اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره من الاكابر ــ الا ان المتنبى ترفع عن مدحه فحمل ذلك الصاحب على تتبع سقطاته وتحريض الشعراء على هجوه ــ مات سنة 385 هـ 995 م

3 ) الراحة : وجه اليد

4 ) نأى : بعد . ودنا : قرب

5 ) معن بن زائدة: كان جوادا شجاعا خدم بنى أمية ــ وأمنه أبو جعفر المنصور لما عرف فضله، وولاه خرسان ــ مات بسجستان سنة 151 هـ 769 م ــ وله أخبار ومحاسن كثيرة

6 ) جارية : ربما يقصد بها مركبا صغيرا

7 ) مطرف : رداء من خز

# 232 ـ لباس رجل نصرانى

قال الجاحظ: دخل أبو قابوس النصرانـي الحيرى، وكـان منقطعا الى البرامكة، على جعفر بن يحيى (1) في يوم بارد، فتبين عليـه جعفر أثـر البرد، فألقى اليه مطرف خز، كان شـراه جملة كبيرة (2). وانصرف أبو قابوس. فحضر، عيد لهم فالتمس في ثيابـه ما يشاكل ذلك المطرف. فلم يجده، فقالت له ابنته: لو كتبت الى جعفر فعرفته حالك، لوجه اليك ما تلبسه مع هذا. فكتب اليـه.

| | |
|---|---|
| أبا الفضل لو أبصرتنا يوم عيدنـا | رأيت مباهاة لنـا في الكنائس |
| فلو كان هذا المطرف الخز جبة | لباهيت أصحابى به في المجالـس |
| فلا بد لى من جبة من جبابـكم | ومن طيلسان (3) من جياد الطيالس |
| ومن ثوب قوهي (4) وثوب غلالـة | ولا بأس لـو أتبعت ذاك بخامس |
| اذا تمت الاثواب في العيد خمسة | كفتك فلم تحتج الى لبس سادس |
| لعمرك مـا افرطت فيمـا سألتـه | ولا كنت لو أفرطت فيه بيائس |
| وذاك لان الشعر يزداد جدة (5) | اذا ما البلى أبلى جديد الملابـس |

فوجه جعفر الى ابي قابوس من كل صنف ذكره عشر قطع

كتاب الوزراء والكتاب

---

1 ) جعفر بن يحيى : (انظر قطعة 17: البرامكة)
2 ) كان شراه جملة كبيرة : كان شراؤه بثمن غال
3 ) طيلسان : كسـاء أخضر يلبسه الخـواص من المشايخ والعلماء ـ وهو من لباس العجم ونرى من هذه القطعة ان النصارى كانوا يلبسونه
4 ) قوهى : مصنوع فى قهستان ببلاد كرمان
5 ) ان الشعر يزداد جدة : اى ان مدحى لك لا يبلى مع مرور الدهر

# 233 ـ استاذ فى ضروب الظروف وفنون الادب

دخل ابو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب (1)، الاندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم (2). فحظي هناك عند الامير. واحبه الناس حتى اتخذوه قدوة في الاداب (3) وضروب الظروف (4). إنه دخل الاندلس، وجميع من فيها من رجل او إمراة يرسل جمته (5) مفروقا وسط الجبين، عاما للصدغين (6) والحاجبين. فلما عاين ذوو التحصيل (7) تحذيقه، هو وولده ونساؤه، شعورهم، وتقصيرها دون جباههم، وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها الى آذانهم، وإسدالها الى اصداغهم... هوت اليه افئدتهم واستحسنوه.. ومما اخذه عنه الناس بالاندلس تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة، وإيثاره (8) فرش انطاع (9) الاديم (10) اللينة الناعمة على ملاحف الكتان، واختياره سفر (11) الاديم لتقديم الطعام فيها، على الموائد الخشبية، اذ الوضر (12) يزول عن الاديم بأقل مسحة، ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به. فإنه راى ان يكون ابتداء الناس للباس البياض، وخلعهم للملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم بالعنصرة، الى اول شهر اكتوبر، ثلاثة اشهر متوالية ويلبسون بقية السنة، الثياب الملونة، وراى ان يلبسوا فى الفصل الذي بين البرد والحر المسمي بالربيع جباب الخز والملحم (13) والمحرر، والدراريع (14) التي لا بطائن لها.. وكذا راى ان يلبسوا في آخر الصيف وعند اول الخريف، المحاشي (15) المروية (16) وما شاكلها من

خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو، والبطائن الكثيفة عند قرص البرد في الغدوات (17) الى ان يقوى البرد فينتقلوا الى اثخن منها من الملونات يستظهرون من تحتها، اذا احتاجوا الى صنوف الفراء.

نفح الطيب

---

1 ) زرياب : من تلاميذ اسحاق الموصلي مغني الرشيد ـ غادر بغداد فراراً من حسد أستاذه وحظي عند عبد الرحمن بن الحكم ـ وهو الذي زاد في العود وترا خامسا ـ وكان عالما بالنجوم وبطبائع الاقاليم

2 ) عبد الرحمن بن الحكم : هو عبد الرحمن الثاني أو الاوسط ـ في عهده ساد الامن في الولايات الاندلسية، كان ميالا للاداب والفنون ـ توفي سنة 802 م

3 ) الآداب : يقصد بها آداب الاكل واللباس والمجالسة إلخ

4 ) الظروف : يقصد بها الآداب، ومنها الرجل الظريف

5 ) الجمة : الضم والفتح ـ مجتمع شعر الرأس

6 ) الصدغان : م صدغ وهو ما بين العين والاذن ـ يطلق أيضا على الشعر المتدلي على هذا الموضع

7 ) ذوو التحصيل : ذوو الفهم

8 ) ايثاره : تفضيله

9 ) الانطاع ـ ج نطع بساط من جلد

10 ) الاديم : الجلد المدبوغ

11 ) السفرة : جلد يوضع عليه الاكل

12 ) الوضر : وسخ الدسم ـ ووضر يوضر ـ اتسخ بالدسم فهو وضر

13 ) الملحم : المنسوج

14 ) الدراريع ج دراعة : جبة مشقوقة المقدم

15 ) المحاشي : الثياب ذوات الحشواى التي حشيت أجزاؤها بصوف أو قطن للتدفئة

16 ) المروية : المنسوبة الى مدينة مرو ببلاد فارس

17 ) الغدوات : ج غدوة : الصباح



زي مغربي في العصر الحاضر



امـرأة مغربية خـارج منزلهـا



## 234 ـ جارية من جواري القصر العباسي

كان لاسماء (1) بنت المهدي (2) جارية غلامية (3). وكانت الشعراء تجتمع، كل يوم، بباب الاميرة العباسية. قال أبو نواس يوما ليوسف بن الداية النخاس: «امض بنا الى باب أسماء لننظر الى من يحضر اليوم من الشعراء، ونعترف خبراً إذا حدث». فمضيا فبينما هما على باب أسماء اذا بالجارية قد خرجت، وعليها قباء (4) وشي (5) منسوج بالذهب، وسراويل وشي أخضر منسوج بالذهب، وعلى رأسها محبسة (6) ابريسيمية (7) منسوجة بالذهب. وفي رجلها نعل مغشاة بديباج، وتشد خصرها (8) منطقة ذهب مفرقة على زرياب حرير عريض، وقد غابت في خصرها من انهضابه (8) فما تكاد تبين، وفي يدها قضيب خيزران، تعبث به. فدهش كل من حضر وبهتوا ببراعة جمالها وحلاوتها، وحسن زيها. فقال أبو نواس لرفيقه: فمثل هـذه يا نخاس، فاشتر لامثل رقيقك. فقال: دعني، فما رأيت مثل هذه قط على كثرة ما يمر على يدي؛ وما تصلح هذه الا للخليفة.

الحان الخان

---

1 ) أسماء : اخت هارون الرشيد وابراهيم
2 ) المهدى : تقدمت ترجمته (قطعة 23
3 ) الجارية الغلامية : هـى الجاريـة التى طمت شعرهـا وظهرت بمظهر الغلمان
4 ) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ج أقبية
5 ) الوشى : من وشى الثوب حسنه بالالوان، ونمنمه وطرزه
6 ) محبسة : شبه منديل تحبس به شعرها عن الاسترسال
7 ) الابريسم : الحرير
8 ) الخصر : وسط الانسان فوق الورك : ج خصور
9 ) انهضامه : رقته



عباءة من الحرير عليها كتابة نسخية دعائية (مصر - القرن 8 هـ)

# 235 ـ قصـة الحرامـى

قال الجاحظ: رآني أبـو محمد الحرامـى (1) ـ وكان أبخل من برأ (2) الله واطيب من برأ الله ـ مرة في تشرين (3) الاول، وقد بكر البرد شيئا، فلبست كساء لي، قومسيا (4) خفيفا قد نيل منه (5) فقال لي: « ما أقبح السرف بالعاقل، وأسمج الجهل بالحكيم! ما ظننت ان اهمال النفس، وسوء السياسة بلغ بك ما أرى ». قلت: « واي شيء أنكرت منا مذ اليوم، وما كان هذا قولك فينا بالامس؟ » فقال: « لبسك هذا الكساء قبل اوانه ». قلت: « قد حدث من البرد بمقداره، ولو كان هذا البرد الحادث في تموز وآب (6) لكان إبانا لهذ الكساء ». قال: «إن كان ذلك كذلك فاجعل، بدل هذه المبطنة جبة محشوة فانها تقوم هذا المقام، وتكون قد خرجت من الخطأ. فاما لبس الصوف اليوم فهو غير جائز» قلت: ولم؟ قال: «لان غبار آخر الصيف يتداخله ويسكن في خلله، فاذا أمطر الناس وندي الهواء، وابتل كل شيء ابتل ذلك الغبار. وانما الغبار تراب الا انه لباب التراب، وهو مالح ويتقبط عند ذلك عليه الكساء، ويتكرش لانه صوف، فتنضم اجزاؤه عليه فياكله أكل القادح (7)، ويعمل فيه عمل السوس؛ ولهو اسرع فيه من الارضة (8) فى الجذوع النجرانية (9). ولكن اخر لبسه حتى اذا مطر الناس، وسكن الغبار، وتلبد التراب، وحط المطر ماكان في الهواء من الغبار وغسله وصفاه، فالبسه حينئذ على بركة الله » »      كتاب البخلاء

1) الحرامى: نسبة الى «بنى حرام» وهى سكة بالبصرة ـ وكان أبو محمد هذا يصطنع الكتابة للسراة والولاة ـ وكان يكثر الاقامة بواسط

2) برأ: خلق

3) تشرين: الشهر العاشر من السنـة الشمسية ـ ويستعملـون تشارين للدلالة على فصل الخريف

4) قومسى: ربما نسبة الى قومس بمعنى الامير

5) قد نيل منه: اى قد بلى شيئا ما

6) تموز: الشهر السابع ـ وآب: الشهر الثامن

7) القادح: أكال أو سواد يقع فى الاشجار والاسنان فيفسدها

8) الارضة: دويبة تأكل الخشب ج أرض

9) الجذوع: ج جذع: ساق النخلة ـ النجرانية نسبة الى نجران باليمن

# 236 ـ الاخية [1] الفتيان

قال ابن بطوطة: ففي اليوم الثاني من وصولنا الى شيراز (2).. دعانا أحد الشيوخ الفتيان الاخية وهو من الخرازين. فذهبنا معه الى زاويته، فوجدناها حسنة، مفروشة بالبسط الرومية الحسان، وبها كثير من ثريات الزجاج العراقي. وفي المجلس خمسة من البياسيس، والبيسوس شبه المنارة من النحاس، له ارجل ثلاث، وعلى راسه سبه جلاس (3) من النحاس، وفي وسطه انبوب للفتيلة، ويملأ من الشحم المذاب، والى جانبه آنية نحاس ملآنة بالشحم، وفيها مقراض لاصلاح الفتيل، واحدهم موكل بها.. وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان، واباسهم الاقبية، وفي ارجلهم الاخفاف، وكل واحد منهم متحزم على وسطه بسكين في طول ذراعين، وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف، بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبوعين، فاذا استقر بهم المجلس، نزع كل واحد منهم قلنسوته، ووضعها بين يديه، وتبقى على راسه قلنسوة اخرى من الزردخاني وسواه، حسنة المنظر. وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين. ولما استقر بنا المجلس عندهم اتوا بالطعام الكثير، والفاكهة والحلواء ثم اخذوا في الغناء والرقص، فراقنا حالهم، وطال عجبنا من سماحهم وكرم انفسهم.

رحلة ابن بطوطة

---

1 ) واحد الاخية أخي وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية فتيان يحتفلون بالغرباء ويأخذن على أيدى الظلمة؛ يجتمع أهل كل صناعة ويقدمون عليهم أحدهم ويبنون زوايا ليجلسوا فيها عند فراغهم من شغلهم ويستقبلوا بها الغرباء (عن ابن بطوطة)

2 ) شيراز : بلدة بفارس

3 ) الجلاس : اناء يجعل فى البيت ليلا لقضاء الحاجة

# 237 ـ نقد زي رسمي

لما ولي أبو جعفر المنصور (1) الخلافة، امر أصحابه بلبس السواد (2)، وقلانس طوال، وذراريع كتب عليها: «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»، وان يعلقوا السيوف في المناطق. فدخل عليه ابو دلامة (3) في هذا الزي. فقال له المنصور: كيف اصبحت يا ابا دلامة؟ قال: بشر حال يا أمير المؤمنين. قال: كيف ذاك ويلك؟ قال: وما ظنك، يا أمير المؤمنين، بمن اصبح وجهه في وسطه، وسيفه على دبره، ونبذ كتاب الله وراء ظهره (4) وصبغ بالسواد ثيابه؟. فضحك المنصور ووصله، وأمر بتغيير ذلك الزي.

وفي ذلك يقول ابو دلامة:

| | |
|---|---|
| وكنا نرجى من إمام زيادة | فجاد بطول زاده في القلانس |
| نراها على هام الرجال كأنها | دنان يهود جللت بالبرانس |

معجم الادباء

1 ) أبو جعفر المنصور: هو الخليفة العباسي الثاني وقد تقدمت ترجمته

2 ) كان السواد شعار الدولة العباسية فكانت ثيابهم الرسمية وأعلامهم سوداء

3 ) ابو دلامة (161 هـ 777 م)هو زيد بن الجون الكوفي الحبشي، كان بنو العباس يستطيبون مجالسته لنكته ونوادره

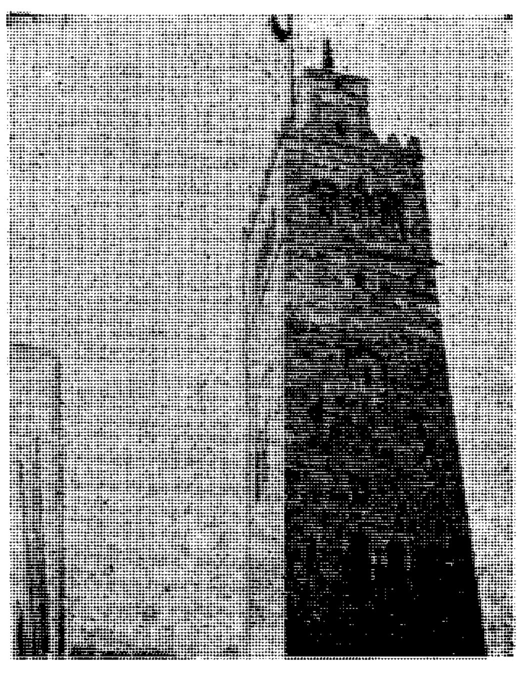
4 ) اشارة الى الآية المكتوبة على الدراريع

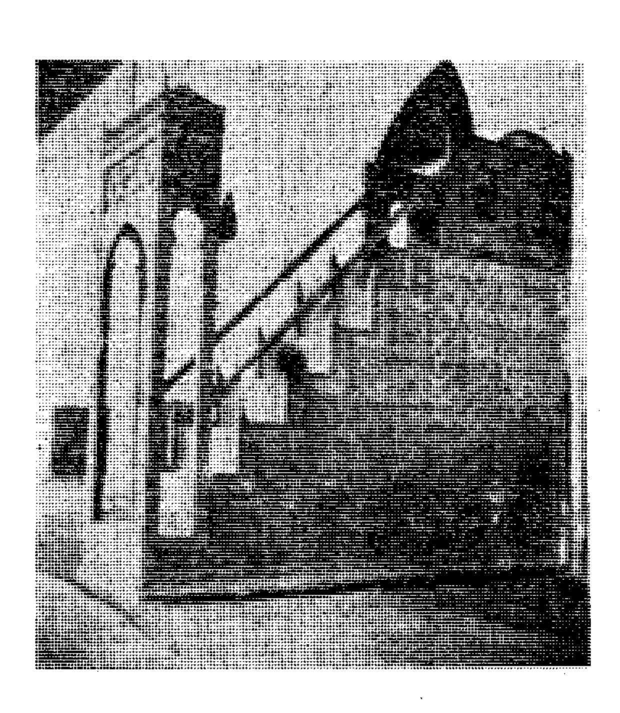
# حسن الختام

# الوصايا

قال تعالى : « انك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »

كنا عزمنا ، في أول الامر ، على تخصيص هذا الفصل لقطع حول الهدايا والتحف إتماما لباب الاقتصاد ، ولكن لما لاحظنا ان اكثر القطع التي بين أيدينا ليست الا جداول أرقام ، وجرائد لطرائف واعلاق ، من منسوجات ومجوهرات وطيوب ، تغيرت أسماؤها ، او لم يبق لها نظير في زماننا ، فاننا آثرنا أن نتم هذا الباب بفصول شيقة في الوصايا ، ونختم هذا الكتاب ، كما بدأناه ، بآيات من الذكر الحكيم ، سائلين الله تعالى ان ينفع به المطلعين ، بقدر ما بذلنا من جهد ورجونا من خير أمين.





# 238 وصية امرأة لبنتها يوم البناء

خطب الحارث بن عمرو، ملك كندة، الى عوف بن محلم الشيباني، ابنته. فلما كان يوم بنائه (1) بها، وأرادوا ان يحملوها اليه، قالت لها أمها:

« اي بنيـة: إن الوصية لو تركت لفضل ادب تركت ذلك منك، ولكنها تذكرة للغافـل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما اليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.. أي بنية، إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، الى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تالفيه؛ فكوني له امة يكن لك عبدا، واحفظي لـه خصالا عشرا يكن ذخرا. اما الاولى والثـانية فالخشوع له بالقنـاعة وحسن الطاعة. واما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح؛ واما الخامسـة والسادسة فالتفقد لوقت منامه وطعامـه، فان تواتر الجوع (2) ملهبة (3)، وتنغيص النوم مغضبة، واما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله، وملاك الامر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير؛ واما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ولا تفشن له سرا، فانك ان خالفت أمره أو غرت صدره (4) وان أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم اياك والفرح بين يديه ان كان ترحا، والترح بين يديـه ان كان فرحا. فان الخصلة الاولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة.

واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري (5) رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت. والله يخير لك (6)» ثم أحتملت له، فعظم موقعها منه، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

الميداني

---

1 ) بنى الرجل بزوجته وعليها : دخل عليها

2 ) تواترت الاشياء: تتابعت مع فترات بينها، وتواتر الجوع: إشتداده

3 ) ملهبة : من ألهبه لامر : هيجه له ـ فاذاً « ملهبة » : يبعث على شدة الغضب

4 ) أوغر صدره : أغضبه من وغر اليوم يغر: اشتد حره، ووغر صدره (يوغر) على فلان: توقد عليه من الغيظ، فهو واغر الصدر عليه

5 ) آثر يؤثر الشيء : فضله

6 ) خار الله له في الامر : جعل له فيه خيراً ـ واستخار الله : طلب منه ان يختار له ما يوافقه ؛ منها صلاة الاستخارة

# 239 وصـيـة لصــديـق

«ابذل (1) لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك (2) ومحضرك وللعامة بشرك (3) وتحننك، واضنن (4) بدينك وعرضك على كل احد...

تحرز من سكر السلطـة (5) وسكر العلم، وسكر المنزلـة (6) وسكر الشباب، فانه ليس من هذا شيء الا وهو ريح جنـة (7) تسلـب العقل، وتذهب الوقار، وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع...

اذا نابت (8) أخاك احدى النوائب، من زوال نعمة، او نزول بلية، اعلم أنك قد ابتليت معه، اما بالمواساة فتشاركه في البلية، وامـا بالخذلان فتحتمل العار...

ذلل (9) نفسك بالصبر على جار السوء، وعشيـر السوء، وجليـس السوء. فان ذلك ما لا يكاد يخطئك. فان الصبر صبران، صبـر الرجل على ما يكره، وصبره، عما يحب... واعلم ان اللئام أصبـر أجسـادا والكرام وأصبر نفوسا...

لا تجالس امرأ بغير طريقته. فانك ان أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي (10) بالفقه (11) والعي (12) بالبيان، لم تزد على ان تضيع عقلك، وتؤذي جليسك، بحملك عليه ثقل ما لا يعرف... وأعلم انه ليس من علم تذكره عند غير أهله الا عادوه... وحرصوا على ان يجعلوه جهلا، حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذي هو أخف الاشيـاء على

النـاس ليحضره من لا يعرفه، فيثقل عليه ويغتم بـه . واعلم ان خفض الصـوت ، وسكون الريح (13) ومشى القصـد من دواعي المودة اذا لـم يخالـط ذلك بـأو (14) ولا عجب ؛ امـا العجب فهـو من دواعي المقت والشنآن (15) .

من كتاب الصديق لابن المقفع بتصرف طفيف



---

1 ) ابذل. من بذل يبذل: أعطى. وابذل دمك: جد بنفسك ودمك
2 ) الرفد بالكسر : العطاء. والمحضر : الحضور
3 ) البشر بالكسر : طلاقة الوجه
4 ) ضن : بخل
5 ) السلطة : التسلط والقهر
6 ) المنزلة : القدر والجاه والمرتبة
7 ) جنة : بكسر الجيم الجنون
8 ) نابتة نائبة : أصبته مصيبة ونزلت به نازلة
9 ) ذلل نفسك : لينها وعودها الصبر
10 ) الجافى : الغليظ ، من جفا الثوب : غلظ
11 ) الفقه : الفهم
12 ) العى : هو الذى لا يستطيع الافصاح والتعبير عما فى ضميره
13 ) سكون الريح : يراد به الوقار والهدوء
14 ) البأو : الكبر والفخر
15 ) الشنآن : من شنـأ وشنىء الرجـل : أبغضه وأظهر له عـداوة وسوء خلق

# 240 - وصية للامام علي كرم الله وجهه

قال لرجل سأله ان يعظه : « لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجى (1) التوبة بطول الامل ، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ، ان اعطي منها لم يشبع ، وان منع منها لم يقنع ... ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم . ويبغض المذنبين وهو احدهم ، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له (2) ؛ ان سقم ظل نادما (3) وان صح أمن لاهياً ، يعجب بنفسه اذا عوفي ، ويقنط اذا ابتلي ؛ ان اصابه بلاء دعا مضطرا ، وان ناله رجاء أعرض مغترا ، تغلبه نفسه على ما تظن ولا يغلبها على ما يستيقن (4) ، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله ، ان استغنى بطروفتن (5) وان افتقر قنط ووهن (6) ؛ يقصر اذا عمل ، ويبالغ اذا سأل ؛ يصف العبرة ، ولا يعتبر (7) ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ ؛ فهو بالقول مدل (8) ، ومن العمل مقل ، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى ... فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ؛ اللهو مع الاغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ؛ ويرشد غيره ويغوي نفسه ، فهو يطاع ويعصي ، ويستوفي ولا يوفي ، ويخشى الخلق في غير ربه (9) ولا يخشى ربه في خلقه .

نهج البلاغة

---

1 ) يرجى بالتشديد : يؤخر التوبة
2 ) يكره الموت له : أى الذى يكره الموت لاجله وهى الذنوب
3 ) ظل نادما : أى ان أصابه سقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة
4 ) يستيقن : على يقين أى هو على يقين بان السعادة فى الزهد ولا يغلب نفسه عليه
5 ) بطر : اغتر بالنعمة ، والغرور فتنة
6 ) القنوط : اليأس ، والوهن : الضعف
7 ) العبرة : تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من إتيان أسبابه
8 ) مدل : اسم فاعل أدل وأدل على اقرانه : استعلى عليهم
9 ) في غير ربه : اى يخشى الناس فيعمل لغير الله خوفا منهم

# 241 - رسالة عبد الحميد (1) الى الكتاب

« أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وارشدكم. فان الله، عز وجل، جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعن، ومن بعد الملائكة المكرمين، أصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء، وصرفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم.. فجعلكم، معشر الكتاب، في اشرف الجهات.. بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها.

فتنافسوا، يا معشر الكتاب، في صنوف الاداب، وتفقهوا في الدين، وابدئوا بعلم كتاب الله عز وجل، والفرائض، ثم العربية، فانها ثقاف (2) ألسنتكم، ثم اجيدوا الخط فإنه حلية (3) كتبكم، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها، ومعانيها، وايام (4) العرب والعجم، واحاديثها وسيرها؛ فان ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم.. وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها.. ونزهوا (5) صناعتكم عن الدناءة، واربؤوا بانفسكم عن السعاية (6) والنميمة... واياكم والكبر والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير إحنة (7)، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم. وان نبا (8) الزمان برجل منكم، فاعطفوا عليه وواسوه (9) حتى يرجع اليه حاله ويئوب اليه أمره؛ وان اقعد احدا منكم الكبر عن مكسبه، ولقاء اخوانه، فزوروه، وعظموه وشاوروه، واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته.. واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر

خلق الله وعياله امر فليراقب الله عـز وجل، وليوثـر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقا، وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله. ثم ليكن بالعدل حاكما والاشراف مكرما وللفـيء (10) موفرا، وللبلاد عامرا، وللرعية متألفا. وعن اذاهم متخلفا، وليكن في مجلسه متواضعا حليما، وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقا».

رسائل البلغاء - ص 172



1) عبد الحميد : انظر قطعة 157

2) ثقاف : من ثقف : صارحا ذقا - وثقف الرمح: قومه، والولـد : هذبه؛ والثقاف : آلة تقوم بها الرماح

3) حلية : من حلى المرأة : جعل لها حليا : زينها. والحلية ج حلى: ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة

4) ايام العرب : حروبها وغزواتها

5) نزه نفسه عن الكذب والغش والخيانة : ترفع عن ذلك

6) ربأ : علا وارتفع وربأ نفسه عن السعاية لم يرض بها - والسعاية من سعى بفلان عند الامير نم عليه ووشى به ليوقعه فى الشر

7) احنة ج احن : الحقد والعداوة - أحن: أضمر العداوة والحقد

8) نبا ينبوبه : جفاه . نبابه الزمان : لم يساعده

9) واسى : لغة فى آساه مؤاسة : عاونه - رأسا يأسو الجـرح : داواه . وآسيته بنفسى : سويته والآسى ج أساة: الطبيب

10) الفيء : الغنيمة، الخراج - والفيء : الظل - وفيأت الشجرة : ظللت - وتفيأ الرجل : استظل

# 242 ـ وصية الى وارث مال

« وصلت يا سيدي ، رقعتك والمصـاب لعمـر الله كبيـر ، وانـت بالجزع جدير (1) ، ولكنك بالصبر اجدر . وقد مات الميت فليحي الحي . فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالامس : قد كان ذلك الشيخ ـ رحمه الله ـ وكيلك ، تضحك ويبكي لك ؛ وقد مولـك (2) بمـا ألف بين سراه (3) وسيره ، وخلفـك فقيـرا الى الله غنيـا عن غيـره . وسيعجم (4) الشيطان عودك ، فان استلانه رماك بقوم يقولـون : خيـر المال ما اتلف بين الشراب والشباب ، وانفق بين الحباب (5) والاحباب ، والعيش بين الاقداح والقداح (6) ، فإن اطعتهم فاليوم في الشراب وغدا في الخراب ، واليوم واطربا (7) المكاس ، وغدا واحربا (7) من الافـلاس . يا مولاي ، ذلك الخارج من العود يسميه العاقل فقرا ، والجاهل نقـرا . وذلك المسموع من النأي هو اليوم في الاذان زمر وغد في الابواب سمر . . وان لم يجد الشيطان مغمزا (8) في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يمثلون لك الفقر حذاء عينك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنـك وتناقش عينك (9) ، وتمنع نفسك ، وتبوء (10) في دنياك بوزرك ، وتراه في الاخرة في ميزان غيرك . لا ، ولكن قصدا بين الطريقين ، وميـلا عن الفريقين ، لا منع ولا إسراف . والبخل فقر حاضر وضير (11) عاجل ، وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه (12) . فليكن لله في مالـك قسـط ،

وللمروءة قسم. فصل الرحيم (13) ما استطعت، وقدر (14) اذا قطعت. فلان تكون في جانب التقدير خير لك من ان تكون في جانب التبذير».

بديع الزمان الهمداني (الرسائل - ص 525)

---

1 ) جدير : حقيق اى يحق لك ان تجزع وتحزن ، ولكن الصبر أحق وأفضل
2 ) مولك : صيرك ذا مال
3 ) السرى : السير بالليل من سرى يسرى ويقال : فى الصباح يحمد القوم السرى
4 ) عجم العود : عض عليه بأسنانه ليعرف هل هو صلب أم ليس ، وسيعجم عودك : أى يختبرك ويجربك
5 ) الحباب : هو ما يعلو على جه الشراب من الفواقع عند المزج
6 ) القداح ج وهو أحد اقداح الميسر، والاقداح ج قدح وهو قدح الشراب : أى طيب العيش بين الشراب والقمار
7 ) واطربا : صيغة من صيغ الاستغاثة وقصد بها هنا التعجب من شدة الطرب وكثرته. وأحربا : صيغة الندبة وهى نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه، حربه حربا سلب ماله فهو محروب وحريب
8 ) مغمزا : هو المطعن، ومحل الضعف
9 ) تناقش : تحاسب وعينك : نفسك او المواد منها الباصرة
10 ) تبوء : ترجع وتنقطع والوزر هو الذنب . اى لا تنال من دنياك إلا الذنب وينتفع وارثك بالمال فتراه يوم الحساب فى ميزانه
11 ) الضير : الضرر من ضاره (يضيره ضيرا) الامر: أضر به
12 ) ما هو فيه: أى الفقر: اى البخيل يعيش فى الفقر خوفا من الفقر
13 ) الرحم : يراد بها من كان قريبا منك. ووصل الرحم : أى زار أقاربه واحسن إليهم، ضد قطع
14 ) قدر اذا قطعت : أى اذا لم تصل رحمك أصرف على قدرك ولا تسرف

# 243 - قرآن كريم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَقَضَى (1) رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ (2) وَلاَ تَنْهَرْهُمَا. وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ (3) مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ (4) غَفُوراً. وَءاتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً. وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً. (5) وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً. إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ. (6) إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً. وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ (7) نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ. إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيرًا. وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (8). وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ. وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِي القَتْلِ، إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً. وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (9) وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ، إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً، (10) وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاً، وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (11) إِنَّ السَّمْعَ

وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُوْلَئِـكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً. وَلاَ تَمْـشِ فِي الارْضِ مَرَحاً (12)، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الارْضَ، وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً، ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ، وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلاَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُوراً (13).

سورة الاسراء



1 ) قضى : أمر واوجب

2 ) أف: كلمة تدل على الملل والتضجر

3 ) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة: تواضع لهما وكن لين الجانب والذل : الرفق

4 ) للاوابين : المراجعين الى طاعة الله عما فرط منهم

5 ) محسورا : نادما مغموما

6 ) يقدر : يضيق

7 ) خشية املاق : مخافة فقر

8 ) وساء سبيلا : بئس الطريق طريقه

9 ) اشده : قوته، وحسن قيامه بمصالح ماله

10 ) ان العهد كان مسؤولا : إن العهد يسأل عنه الناكث له

11 ) لا تقف ما ليس لك به علم: لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك أمره

12 ) مرحا : في كبر وخيلاء

13 ) مدحورا : مبعدا مطرودا

# فهرس الاعلام
# المعرف بهم اثـر النصوص

## (غ)



## (ف)



## (ق)

# تراجم المؤلفين للكتب المختارة منها النصوص
# اكتفينا هنا بمؤلفي الكتب القديمة

## الابشيهي :

( توفي سنة 850 ه‍ 1447 م ) محمد بن احمد الخطيب الابشيهي المصري - ولد حوالي 790 ه‍ 1388 م ) هو صاحب كتاب « المستطرف في كل فن مستظرف » وهو كتاب جليل شامل، فيه من نوادر الحكم وغرائب الاخبار ونفائس القصص ما يشهد لجامعه بالذكاء وسلامة الذوق عند ذوي الالباب.

## ابن الاثير :

( 630 ه‍ 1253م) هو عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الشيباني، عاش بالموصل ورحل الى الشام والقدس وبغداد. كان بيته محط رحال الواردين على الموصل من أرباب العرفان. له كتاب « اسد الغابه في معرفة الصحابة » استوعب فيه اخبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتاب «الكامل» فى التاريخ من اول الزمان الى سنة 628 ه‍.

## اسامة بن منقذ :

( 584 ه‍ 1189 م ) كان من امراء بني منقذ الذين توارثوا الحكم في قلعة شيزر على النهر العاصي من بر الشام مائة سنة ونيفا. كان معروفا بالشجاعة والاقدام وفارسا شاعرا، شاهد بعض حروب الصليبيين؛ وله كتاب «الاعتبار» دون فيه وقائع حياته بعبارة جندي صريح المقال لا يعرف للتكلف معنى - وكتاب « لباب الادب ».

### الاصـبـهـانـي :

( 356 هـ 967 م ) هو ابو الفرج علي بن الحسين الامـوي - ولـد باصبهان ونشأ ببغداد . كان منقطع النظير في حفظ الشعر والاغاني والاخبار والسير والمغازي وذا إلمام بالطب والنجوم . له تآليف غراء ، أسيرها في الافاق - « كتاب الاغاني » جمع فيه الاشعـار التـي تغنـى بها المغنون وترجم لقائليها واورد الاخبار التي تشير اليـهـا والوقـائـع التي تغنى بهـا قربت او بعدت . فهو المستودع الوحيـد لكثيـر من اخبار الجاهلية والمئات الثلاث الاول للاسلام ولولاه لم نقف لها على أثر ، قضى في تصنيفـه نحو 50 عـامـا .

### ابن أبي اصبيعة :

( 668 هـ 1270 م ) هو موفق الدين ابو العبـاس احمد بن القـاسم الخزرجي ولد بدمشق . كان ابوه طبيبا كحالا ، وعمه رئيس المستشفى لامراض العيون فتخرج عليهما في الطب واقتبس الاداب والحكمة عن أفاضل الشام . كان صديقا لابن البيطار النباتي المشهور ، وعينه صلاح الدين طبيبا بمستشفى القاهرة - الف كتاب « عيون الانباء في طبقات الاطباء » رتبه بحسب الاقاليم وهو انفع المراجع في تاريخ الطـب من ابتداء زمانه الى ايام المؤلف .

### الافـــرانـي :

ابو عبد الله محمد بن من محمد الافراني الصغير - ولد بمراكش حوالي 1080 ، ومات بها سنة 1151 هـ 1738 م وهو يعتبر مؤرخ الدولـة السعدية في كتابه « نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحـادي » ( اي القرن الحادي عشر الهجري ) .

## بـديـع الزمـان :

( 398 هـ 1007 م ) هو ابو الفضل احمـد بن الحسين الهمداني صاحب « المقامات البديعة » و « الرسائل » الرائقة والذي يضرب به المثل في ذكاء القريحة وتوقد الذهن، وسرعة الخاطر، وطول الباع في الشعر والنثر.

## ابن بســـام :

( المتوفى سنة 542 هـ ) هو ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني الاندلسي ـ سكن اشبيلية وبها ألف « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » وهو تاريخ الاندلس وآدابها في القرن الخامس للهجرة. طبع منه عدة اجزاء بالقاهرة.

## ابن بطـوطـة :

( 777 هـ 1376 م ) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي الرحالة الشهير ـ ولد بطنجة وبها تأدب. قضـى نحو الخمسـة والعشرين عاما ضاربا في مناكب الارض شرقـا وغربا من الاندلـس الى الهند ومن السودان الى بلاد التتر ـ ورجع أخيرا الى فاس حيث حظي عند السلطان ابي عنان المريني فأوعز اليه هذا ان يملي على الكاتب محمد بن جزي الكلبي ما شاهده في الامصار وما علق بذاكرته من نوادر الاخبار، فكان من ذلك رحلته التي سميت « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» وقد عني ادباء الفرنج بنقلها الى لغاتهم.

## البـيـهـقـــي :

( توفي 458 هـ 1066 م بنيسبور ) ابو بكر احمد بن الحسين بن علي الفقيه الشافعي، الحافظ الكبير. ولد بخراسان، عانى الاسفار في طلـب الحديث وصنـف عدة كتب منها « كتـاب السنن والاثـار » و « دلائل النبوة » و « مناقب الشافعي ».. الخ.

### التجيبي :

اسماعيل بن زيادة الله التجيبي من اهل القيروان . دخل الاندلس سنة 438 هـ. كان عالما بالاداب وشاعرا مجيدا من اهل التأليف، شرح كتاب « المختار من شعر بشار » الذي جمعه الاخوان ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد الخالديان اللذان كانا « في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ويشتركان في قرض الشعر ولا يكادان ، في الحضر والسفر يفترقان » . وكانا مكلفين بخزانة كتب سيف الدولة بحلب .

### التوحيدي :

(توفي في حدود 400 هـ) هو علي بن محمد بن العباس المشهور بأبي حيان التوحيدي. كان اماما في النحو واللغة والتصوف فقيها مؤرخاً ذا بيان بارع ووصف أخاذ - عاش بئيسا وان كان اتصل بقادة الرأي من رجال القرن الرابع، له كتب مفيدة منها كتاب « البصائر والذخائر» وكتاب « المقابسات » وكتاب « الامتاع والمؤانسة » .

### الجاحظ :

( 255 هـ 868 م ) ابو عثمان عمر بن بحر البصري المشهور بخفة الروح ، وحب التهكم ، وكثرة الاستطراد ؛ برع في كل علم وفن حتى اصبح نادرة زمانه وزعيم علماء عصره . له تصانيف لا تحصى في مواضيع علمية واجتماعية وسياسية ، تدل على سعة معارفه وغزارة مادته ، ومنها « البيان والتبيين » و « كتاب الحيوان » و « كتاب البخلاء » .

وكتبه « تعلم العقل اولا والادب ثانيا » .

### ابـن جـبـيـر :

( 614 هـ 1217 م ) هو ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني الرحالة الشهير. ولد ببلنسية وتعلم بشاطبة. نال بعلمه اموالا طائلة فرفضها وزهد فيها وكان عالي الهمة كثير المروءة. عانى الرحلة الى المشرق مرتين وحج ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها - جالس الكثير من العلماء وجرت بينه وبينهم مراسلات من شعر ونثر. دون اخبار رحلته في كتاب ضمنه تفاصيل الحوادث التي جرت له من لدن انفصاله عن غرناطة الى عودته، وله فيه اوصاف دقيقة يروق الاديب الاطلاع عليها.

### الجهـشـيـاري :

( 331 هـ 943 م ) ابو عبد الله محمد بن عبدوس كان من رجال الدولة العباسية في عهد المقتدر. وهو مؤرخ قديم من طبقة الطبري: ومن مؤلفاته «كتاب الوزراء والكتاب» وهو اول ما الف من نوعه في تاريخ الوزراء.

### الـحـصـري :

( 453 هـ 1061 م ) ابو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني. كان شاعرا فصيحا، وله تآليف حسان اشهرها «زهر الآداب وثمر الالباب» وهو من الكتب الممتعة المفيدة.

### الـحـمـيـري :

( 440 هـ 1048 م ) الوزير الكاتب ابو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري الاشبيلي. عاش في عهد بني جهور والمعتضد والد المعتمد بن عباد. له كتاب «البديع في وصف الربيع» جمع فيه عدة قصائد ورسائل في الازهار والانوار بعضها له وبعضها لغيره من ادباء الاندلس.

## ابن حوقل :

( 380 هـ 981 م ) ابو القاسم بن حوقل الموصلي ـ تعاطى التجارة ثم مالت نفسه الى السياحة فجاس خلال اكثر اصقاع المملكة الاسلامية وبالخصوص المغرب والاندلس وصقلية ، وله في وصف ما شاهد كتاب سماه « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك » ولقد اقتبس شيئا كثيرا عن تقدمه ولا سيما الاصطخري ، وزين كتابه بالخرائط .

## ابن خلدون :

( 808 هـ 1406 م ) هو ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون الحضرمي، فيلسوف المؤرخين واستاذ المحققين ولد بتونس ومات بمصر . أتقن علوما كثيرة وتقلب في مناصب سلطانية بفاس وتلمسان وبجاية والاندلس ومصر ودمشق ، مرة يتسنم مناكب الرئاسة وطورا يعثر به الحظ ضحية الدسائس . وكتابه في التاريخ ذائع الصيت وقد سماه : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر » صدره بمقدمة طويلة تعتبر من أجل ما كتب في فلسفة التاريخ بالعربية .

## الخطيب :

( 463 هـ 1071 م ) ابو بكر بن علي بن ثابت البغدادي صاحب « تاريخ بغداد » وهو من امهات الكتب التي يعتمد عليها لدراسة الدولة العباسية منذ تأسيس بغداد الى سنة وفاة المؤلف ، وكان ابو بكر خطيبا مصقعا مولعا بالحديث والتاريخ .

## ابن خلكان :

( 681 هـ 1283 م ) هو ابو العباس احمد بن ابراهيم المعروف بابن خلكان . ولد باربل ، قرأ العلم وسمع جماعة من اهل الفضل ، دخل

حلب ودمشق والاسكندرية والقاهرة . ولي القضاء والتدريس في عدة مدارس وله مؤلف مشهور في التراجم سماه « وفيات الاعيان » ذكر فيه كثيرا من الملوك والعلماء والشعراء وكل من اشتهر بأمر من النساء والرجال من المائة الثانية الى منتصف المائة السابعة تحرى فيه الضبط والتدقيق في الرواية .

الـروذراوري :

ابو شجاع محمد بن الحسن . وزر للمقتدي بالله سنة 476 هـ . وعزل سنة 484 هـ فحج وجاور بالمدينة الى ان مات بها سنة 488 هـ . وكان دينا عالما ـ كتب « ذيل كتاب تجارب الامم » .

الـزركشـي :

ابو عبد الله محمد ابن ابراهيم اللؤلؤي الزركشي ـ لا يعرف عنه الا أنه كان يعيش بتونس في عهد ابي عمر عثمان الامير الحفصي ـ وله « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » .

ابن ابـى زرع :

الفاسي ( القرن الثامن الهجري ) ـ لا يعرف عن حياته شيء ـ الف : ( الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) وهو مرجع مفيد في تاريخ العاصمة الادريسية .

عبد الرحمن بن زيدان :

( توفي بمكناس سنة 1946 م ) كان نقيب الشرفاء العلويين وخليفة مدير المدرسة الحربية ( الدار البيضاء ) بمكناس كان رحمه الله مولعا بجمع الكتب ومنكبا على المطالعة والتأليف . ومن مصنفاته

المفيدة: اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس (ترجم فيه لكل من حل بمكناس من رجال العلم والمعرفة واهل الخير) وكتاب « الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة » وله كتب اخرى كثيرة لم تطبع بعد.

السقطي:

محمد السقطي المالقي - لا يعرف شيءٌ عن حياته - ومؤلفه « كتاب الحسبة » يرمي الى بيان واجبات المحتسب في « تغيير المنكر » ومحاربة الغش في الصنائع والحرف. وقد اهتم بطبع هذا الكتاب الاستاذان المستشرقان كولان وليفي بروفنصال.

السيوطي:

(توفي 911 هـ 1505 م) هو جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي. ولد بسيوط (اسيوط) ونشأ بمصر. كان متبحرا في التفسير والحديث والفقه والنحو. اكثر من الاسفار وكان بينه وبين العلماء مناظرات ومطارحات. وقد اشتغل بالتدريس والتصنيف. ومن مؤلفاته المشهورة كتب « حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة » و « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ».

ابن شاكر:

فخر الدين محمد بن شاكر الكتبي الحلبي المتوفى سنة 764 هـ - ذيل كتاب ابن خلكان بـ « فوات الوفيات » سجل فيه الاعلام التي غفل عن ذكرهم ابن خلكان.

الطبري:

(330 هـ 923 م) - أبو جعفر بن جرير الطبري، ولد بأمل من أعمال طبرستان وطاف في عدة بلاد واستوطن بغداد. وكان اماما في

فنون كثيرة، مواضبا على التأليف - واهم مصنفاته « التفسير » و « تاريخ الامم والملوك» (11 مجلدا) ويعد هذا الاخير حجة في أخبار العرب ومعدنا لا ينفذ معينه.

الطرطوشي:

( 520 ه 1126 م ) - الفقيه العالم ابو بكر الفهري الطرطوشي صاحب « سراج الملوك » وكفى به دليلا على فضله.

كان زاهدا عابدا متورعا، عاش في سرقسطة ودخل اشبيلية ثم رحل الى المشرق وزار بغداد والبصرة وسكن الشام وتوفي بالاسكندرية.

ابن الطقطقى:

( 909 ه 1310 م ) - محمد بن علي بن طباطبا - كان نقيب النقباء وصدرا في البلاد الفراتية وعالما بفن التاريخ - اتصل بأمير الموصل فخر الدين عيسى بن ابراهيم سنة 1302 ه وله صنف كتابه « الفخري » في الاداب السلطانية وهو كتاب سلس التعبير، جم الفوائد.

ابن طيفور:

( ت 280 ه ) - هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر، خراساني الاصل ولد في بغداد، اشتغل بالتعليم ثم بالتأليف، لم يبق من تآليفه الا اليسير منها: « تاريخ بغداد » وكتاب « المنثور والمنظوم » وهو اختيارات من احسن ما نظم او نثر في العربية الى عصره.

ابو عبيد بن سلام:

الامام الحافظ ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي - المتوفى بمكة سنة 224 ه. له مصنفات كثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر

ومنها : « كتاب الاموال » وهو مرجع مهم في الاحاديث الخاصة بالزكاة والخراج والجزية ونصوص الصلح الخ ..

ابن عبدون :

( عاش في القرن الثاني عشر المسيحي ) هو احمد بن محمد بن عبدون التجيبي - نشأ باشبيلية وشغل بها بعض الوظائف الادارية ، ألف « كتاب الحسبة » وضح في القسم الاول منه النظام الاداري باشبيلية في القرن الثاني عشر المسيحي ، وفي القسم الثاني أعطى نظرة عن الحالة الاقتصادية هناك عند ما بين واجبات المحتسب في مقاومة الغش والتدليس عند التجار وارباب الحرف .

ابن عبد ربه :

( 328 هـ 939 م ) - هو ابو عمر احمد بن عبد ربه الاموي ولاءً . ولد بقرطبة واقبل على الادب فاتقن اداته وتطلع في فنونه . وله في الادب مؤلف نفيس شهير . سماه « العقد الفريد » ضمنه كنوز علمه وقد رتبه على 25 بابا وسمى كل باب بجوهرة من جواهر العقد . وهو حاو من الاغراض المختلفة والمواضيع المتنوعة كل ما يتوق الى معرفته أديب .

عبد الحميد :

( 132 هـ 750 م ) - هو ابو غالب عبد الحميد بن يحيى . كان معلم صبيان ثم أقبل على الانشاء فبلغ فيها مقاماً رفيعاً، استكتبه مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية .

حبر رسائل كثيرة بديعة حتى صار يضرب به المثل في فن الترسل - وقد عرف باخلاصه للخليفة الاموي وبصداقته لابن المقفع .

## ابن عبد الحكم :

( توفى 257 هـ 871 م) عبد الرحمن بن عبد الحكم القرشي المصري كان ابوه من فقهاء مصر ( مات 214 هـ 829 م ) عرف له « كتاب فتوح افريقية والاندلس » وقد طبعه وترجمه الى الفرنسية الاستاذ قاطو .

## ابن العربي :

( 570 ـ 638 هـ . ـ 1165 ـ 1241 م ) هو الشيخ الاكبر محي الدين محمد بن علي بن العربي الطائي الاندلسي كان من البارعين في التصوف . ولد بمرسية ورحل الى المشرق فدخل بغداد ومكة ودمشق وسمع شيوخها ولقي جماعة من العلماء والمبتدعين . له تآليف جمة منها في التصوف « الفتوحات المكية » و « محاضرات الابرار » في التاريخ والادب وديوان كبير في الطريقة .

## ابو العرب احمد بن تميم التميمي القيرواني :

( توفى 333 هـ 945 م ) ـ عاش في عهد بني الاغلب وشارك في الحروب ضد عبيد الله الشيعي ـ كان محدثا ومؤرخا . الف كتبا كثيرة في الطبقات والتراجم منها «طبقات علماء افريقية» اي علماء القيروان وعلماء تونس.

## الامام علي :

بن ابي طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج بنته السيدة فاطمة الزهراء . وهو رابع الخلفاء الراشدين ـ اغتيل بالكوفة (661 م) وقد جمع نقيب الشرفاء الطالبيين الشاعر الشريف الرضى (توفي 404هـ) أقواله ورسائله وما نسب اليه من محاورات سياسية وكلام في اصول المدنية وقواعد العدالة وترغيب في الفضائل الخ.. في كتابه «نهج البلاغة».

### ابن حجر العسقلاني :

( توفى 853 هـ 1449 م ) هو شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني. ولد بمصر. أحب العلم والآداب وأولع بالحديث فوقف على سماعه ايامه وعانى في اتقانه الرحلات العديدة .

ومن مؤلفاته في هذا الفن « الاصابة في تمييز اسماء الصحابة » وكتاب « الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة » .

### ابن فضل الله العمري:

ابن شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى المتوفى سنة 749 هـ 1348 م ينتمي نسبه الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كان متضلعا في الاداب ولد بدمشق وكان قاضيا بمصر - له عدة مصنفات منها كتاب « مسالك الابصار » وهو يحتوي على معلومات جمة في الجغرافية والتاريخ وله مجموعة من الرسائل سماها « الشتويات » .

### ابن العوام :

ابو زكرياء يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي - عاش في القرن السادس الهجري ( الثاني عشر الميلادي ) - ألف « كتاب الفلاحة » ويعد من المراجع ومفخرة الادب العربي في هذا الفن - ترجم الى عدة لغات منها الفرنسية والاسبانية .

### الغزالي :

( توفى 505 هـ ) هو الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي. ولد في طوس ونشأ فيها - وكان بصيرا عاقلا قضى اعواما في التدريس في المدرسة النظامية ثم سلك طريق الزهد وقضى

عشرة اعوام في الاسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس - للرد على الفلاسفة فسمي لذلك حجة الاسلام. وخلف ما يزيد على سبعين مؤلفا اكثرها في الجدل والمناظرة - ومن اهمها « كتاب المنقذ من الضلال » وكتاب « تهافت الفلاسفة » وكتاب « احياء علوم الدين » .. الخ

القالـــــــي :

( 356 هـ 966 م ) - ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ولد بقريـة بديار بكر وأخذ العلوم عن ائمة الادب بمدينة السلام حيث مكث 23 سنة ما بين درس وتدريس، جاء الى المغرب وانتقل الى الاندلس فاكرم الناصر وفادته، وقصده جمهور من المتأدبين يقرؤون عليه. وكان محترم الجانب، وله الفضل في ميل الحكم بن الناصر الى الادب والكتب وبقرطبة أملى كتابه « الامالي » ضمنه نبذا متنوعة في اغراض شتى كالاحاديث والامثال ولغات العرب وأشعارها واخبار الخلفاء والملوك وكانت وفاته بقرطبة.

القـزويـنـي :

( 682 هـ 1284 م ) - هو ابو يحيى زكرياء بن محمد القزويني يتصل نسبه بمالك بن أنس. كان فاضلا متفننا في العلوم الدينية ولي القضاء بواسط للخليفة المعتصم وله من المؤلفات « عجائب المخلوقات في وصف الكون وهو كتاب جم الفائدة محتو على آراء صيبة واوصاف ممتعة.

القـفـطـي :

( توفى 646 هـ 1248 ) - ابو الحسن علي بن يوسف القاضي الاكرم ولد بقفط في صعيد مصر ونشأ بالقاهرة، كان مشاركا في علوم كثيرة وله تصانيف جليلة لم يصلنا منها الا « أخبار العلماء » به 413 ترجمه للاطباء والنحويين والحكماء من اقدم العصور الى ايامه. استوزره الملك العزيز وظل في منصبه الى ان وافاه الاجل المحتوم.

### القلقشندي :

( توفى 821 هـ 1418 م ) هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن على القلقشندي المصري ، كان من شيوخ العلم ، متبحرا في فنون الكتابة وضروب الانشاء . وله في هذا المعنى مؤلف جليل سماه « صبح الاعشى في صناعة الانشاء » وهو كتاب في 14 مجلدا ، حافل بالفوائد الادبية والنكات التاريخية النادرة .

### الكلاعي :

( 634 هـ 1170 م ) ـ الامام ابو الربيع سليمان بن موسى ـ ولد ببلنسية سنة 565 هـ 1170 م . وقرأ ببلده وبقرطبة . له تآليف عديدة في الحديث وديوان شعر ومجموعة رسائل . واشهر مصنفاته « كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء » .

### المبرد :

( 286 هـ 899 م ) ـ ابو العباس محمد بن يزيد ـ ولد بالبصرة وبها تعلم ـ كان حسن المحاضرة ، مليح الاخبار ، كثير النوادر ، خفيف الروح ، وله من التصانيف كتاب « الكامل » في اللغة والادب ، وهو حافل بالملاحظات النحوية واللغوية وبالامثال والاشعار .

### المراكشي :

عبد الواحد بن علي المراكشي ولد بمراكش سنة 581 هـ 1185 م ، وقرأ بفاس وسكن الاندلس الى سنة 613 هـ ثم رحل الى مصر وما وراء مصر من بلاد الشرق وهناك املى كتابه « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » لا يعرف الا القليل عن حياته في الشرق وعن وفاته . واما كتابه فهو « صورة من الشوق الى صور من الذكريات تفيض بها

نفس جياشة بالحنين ... وصف فيه تاريخ دولة الموحدين وصف عيان ومشاهدة - ولخص تلخيصا دقيقا روايات في تاريخ المغرب - فهو كتاب أدب وفن وكتاب تاريخ وسياسة ».

### المسعودي :

( 345 هـ 956 م ) هو ابو الحسن علي بن الحسين . ولد ببغداد ونشأ بها : تافت نفسه الى الاسفار فأخذ يتقلب في بلاد الله شرقا وغربا . كان حلو المحاضرة لطيف المعاشرة ، كثير النوادر وله تآليف جليلة ضاع اكثرها ووصلنا منها « مروج الذهب » و « كتاب التنبيه » ويعتبر كتابه الاول مرآة لاحوال المدنية الاسلامية ومعائش أهلها .

### ابن مسكويه :

( 421 هـ 1031 م ) هو احمد بن محمد بن مسكويه . صحب الوزيرين المعتمد والصاحب بن عباد . وكتابه « تجارب الامم » متمم لتاريخ الطبري ويعتبر من اهم المصادر اذ عني فيه بالشؤون الاجتماعية والاحوال لاقتصادية وذكر الكثير من حوادث الصدر الاول من ايام بني بويه.

### المقدسي :

( مات حوالي 378 هـ 988 م ) ابو عبد الله محمد بن احمد ولد ببيت المقدس وتخصص في البحث عن احوال البلدان ، فطاف اصقاع المملكة الاسلامية ونظر في طبائعها وخصائصها نظر الجغرافي المحقق . وضع كتاب « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » اثبت فيه ماشاهده او سمعه عن الثقات . ويعد كتابه هذا من اهم المراجع لمعرفة العالم الاسلامي في القرن الرابع الهجري .

## المقري :

( توفى 1041 هـ 1631 م ) - هو شهاب الدين ابو العباس احمد ابن محمد المقري التلمساني . قرأ ببلدته وتضلع في الاداب واللغة والشعر والحديث . ولي الافتاء بفاس ، ثم قصد بيت الله الحرام وسكن القاهرة وبيت المقدس ودمشق . فلقي في هذه البلاد من الاكرام والحظوة عند العامة والخاصة ما لم يتفق لغيره - ولقد فاجأه الحمام بمصر . ومن اجل كتبه « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب » اورد في القسم الاول منه معلومات جمة عن الاندلس وافرد القسم الثاني لاخبار الوزير لسان الدين بن الخطيب دفين فاس و « ازهار الرياض فى اخبار القاضي عياض » دفين مراكش ( توفي 541 هـ ) .

## المقريزى :

( توفى 845 هـ 1442 م ) - هو تقي الدين ابو العباس احمد بن علي المقريزي نسبة الى مقريز وهي محلة ببعلبك ، ولد ونشأ بالقاهرة . برع في علوم كثيرة ، وكان مؤرخا ضابطا للوقائع ومحدثا صادق الرواية ، ولي الحسبة بالقاهرة ومشارفة الاوقاف بدمشق . وله مصنفات كثيرة اشهرها كتاب « الخطط » وعنوانه التام « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » وكتاب « الاوزان والمكاييل الشرعية » وكتاب « النقود الاسلامية » وكتاب « السلوك لمعرفة الدول والملوك » وكتاب « اتعاظ الحنفاء في تاريخ الخلفاء »

## الميداني :

( ت 518 هـ 1124 م ) هو ابو الفضل احمد بن محمد الميداني النيسابوري - اقبل على العلم فاتقن فنونه وبرز في معرفة اخبار العرب وامثالها - وله في الامثال مصنف نفيس مستوعب وجامع لشتيتها ، وهو متداول في ايدي الادباء .

## الناصري :

ابو العباس احمد بن خالد الناصري السملوي - ولد بسلا سنة 1250 هـ 1835 م - شغل وظائف مخزنية بمراكش والدار البيضاء والجديدة وطنجة ومات بسلا سنة 1315 هـ 1897 م . ألف تاريخا عاما للمغرب سماه « كتاب الاستقصا » لاخبار دول المغرب الاقصى » .

## الوطواط :

( ت 718 هـ 1318 م ) محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري جمال الدين الكتبي - هو من خيرة العلماء في كثير من الفنون الادبية . اهم مؤلفاته « غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة » - يحتوي على نظم ونثر في المحامد والمذام المختلفة وفوائد تاريخية لا توجد في سواه من المظان و « مباهج الفكر ومناهج العبر » وهو موسوعة في علم الفلك والجغرافية والحيوان والنبات .

## ياقوت :

( 626 هـ 1229 م ) - هو شهاب الدين ابو عبد الله الرومي . ولد ببلاد الروم واسر وهو صغير ، ابتاعه ببغداد رجل حموي الاصل فنسب اليه ، علمه مولاه وشغله بالاسفار في متاجره ثم اعتقه فاشتغل بالنسخ واقبل على المطالعة فحصل فوائد جمة - واعتنى بتجارة الكتب وضرب في الارض ثم دعاه ابن القفطي الى حلب واحسن اليه فتفرغ للعلم والتألف وله مؤلفات عديدة في انواع العلوم من اعظمها « معجم الادباء » في التراجيم و « معجم البلدان » في الجغرافية وهما مؤلفان جليلان ومرجان مهمان .

# هـذا الكتاب

ليس بحثا جديدا في الحضارة الاسلامية وتاريخ أطـوارها وانما هو « شريط » صور ومشاهد ونصوص أدبية انتخبت من مصنفات ألفها علماء أفذاذ ومؤرخـون أمجاد ونسقـت تنسيقا يشخص تلك الحضارة ومقوماتها بكيفية حية ناطقة .

... صور ومشاهد لالوان وضروب من النشاط السياسي والفكري والفني ، فى مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها ، خلال عصورها الزاهرة ، عقول واعية متيقظة ، عواطف نبيلة متفتحة ، أيـدي منجزة منشئة .

... صور ومشاهد تتيح للقارىء تقدير ما جادت به قرائح المسلمين في خدمة الانسانية وتفهم ما قدمـه أسلافنا الكرام للركب البشرى من عقائد صافية ومبادىء سامية ومثـل عليا ومآثر حميدة .

... صور ومشاهد تحفز ذوى الهمم العالية على العمـل الخلاق لربط ماضينا الزاهر بمستقبل تتفتح فيه الملكات الطيبة ، والقيم الروحية الكريمة ، وتنتشر فيه رايات السلام والاطمئنان .

دار كريماديس للطباعة - تطوان